الجمهـوريـــة الجزائـريـــة الـديمقـــراطيـــة الشـعبيـــة

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université MUSTAPHA STAMBOULI de Mascara

Faculté des sciences Humaines et sociales

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم :العلوم الإنسانية

الدكتورة:درعي فاطمة

الدرجة العلمية: أستاذة محاضرة (أ)

السند البيداغوجي الخاص بمقياس:

العثمانيون في المشرق والمغرب

موجه لطلبة السنة: الأولى ماستر تاريخ الدولة العثمانية (1453-1924)

فـــــــــــرع: علوم إنسانية - تاريخ-

ميـــــــــــدان: علوم إنسانية وإجتماعية

عدد صفحات السند (مع احتساب الواجهة وما تلاها): 128

لجنة تحكيم السند:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة الانتماء
01	د عبو إبراهيم.	أستاذ محاضر (أ)	جامعة معسكر
02	أ.د آيت حبوش حميد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران1
03	أ.د بن صحراوي كمال	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت

السنة الجامعية : 2021 - 2022

Scanned with CamScanner

الجمهـــورية الجـزائرية الديمقـراطية الشـعبية
وزارة التعليـم العـالي والبحث العلـمي
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكـــر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلس العلمي للكلية
الرقم: 07 /م ع/ ك ع إ/ج م ا م/ 2022

معسكر في: 17 أفريل 2022

مستخرج من محضر اجتماع
المجلس العلمي للكلية
رقـــم:13 المنعـــقد بتـــــاريخ 2022/03/24

بناء على تقارير الخبرة الايجابية التي قدمها الأساتذة:

01- د. عبو ابراهيم أستاذ محاضر أ ، جامعة معسكر.

02- أ. آيت حبوش حميد، أستاذة التعليم العالي، جامعة وهران 1 .

03- أ. بن صحراوي كمال، أستاذ التعليم العالي، جامعة تيارت.

وافق المجلس العلمي للكلية على اعتماد السند البيداغوجي الخاص بالدكتورة درعي فاطمة، أستاذة محاضرة صنف"أ" بقسم العلوم الإنسانية، المعنون: العثمانيون في المشرق والمغرب والخاص بالسنة الأولى ماستر الدولة العثمانية، والمتكون من 128 صفحة.

رئيسة المجلس العلمي

رئيسة المجلس العلمي للكلية
د. كـــرراز فوزيـــة

عميد الكلية

عميد كلية العلوم الإنسانية
و الاجتمـــاعيـــة
د. جبـــــالة محمـــد

Scanné avec CamScanner

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر
قسم العلوم الإنسانية
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

السداسي: الأول
اسم الوحدة: و ت أ 2 (إج)
اسم المادة: العثمانيون في المشرق والمغرب
الرصيد:04
المعامل:02

أهداف التعليم: (ذكر *ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر*)

- أهمية إطلاع الطالب على توسع الدولة العثمانية مشرقا و مغربا استكمالا لحركية النمو و القوة و بناء الكيان السياسي .

المعارف المسبقة المطلوبة : (*وصف تفصيلي للمعرف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر).*

- ضرورة أن يكون الطالب ملما بأوضاع البلاد العربية و كذا التحرشات الأوروبية على أملاك المسلمين لاسيما بعد تصدع حضارة الأندلس.

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطالب)

1- المشرق العربي:
- في بلاد الشام
- في مصر المماليك
- في الحجاز و اليمن

2- المغرب العربي:
- في الجزائر
- في تونس
- في ليبيا

1- المشرق العربي:
- الوجود العثماني في مصر والشام
- الحكم العثماني للحجاز واليمن
- التدخل العثماني لحماية سواحل الجزيرة العربية
- الوجود العثماني في السودان وشرق إفريقيا (تأسيس ولاية الحبشة)
- الحكم العثماني للعراق والتصدي للنفوذ الصفوي

2- المغرب العربي:

Scanné avec CamScanner

- ☐ العثمانيون وقضية الأندلس
- ☐ الحكم العثماني للجزائر
- ☐ الوجود العثماني في تونس
- ☐ الحكم العثماني في ليبيا

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان....إلخ (يترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

المراجع: (*كتب،ومطبوعات ، مواقع انترنت*، إلخ)

المصادر والمراجع:

1. نيقولا إيفانوف، الفتح العثماني للبلاد العربية
2. فائق بكر صواف، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز
3. فاضل بيات، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر
4. فؤاد أحمد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته
5. قطب الدين محمد بن أحمد المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني
6. كاكيا أنتونيجوزيف، ليبيا في العهد العثماني الثاني
7. محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، ج3
8. لوثروبستودارد، حاضر العالم الإسلامي
9. ليلى الصباغ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر
10. محمدأنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي من1514 إلى 1914
11. محمد عبد اللطيف البحراوي، فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر

Scanné avec CamScanner

Table des matières

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات..... 6
مقدمة 8
العالم العربي قبيل مجيء العثمانيين..... 9
1- بلاد المشرق: 9
2- بلاد المغرب 10
3- إتجاه العثمانيين إلى البلاد العربية..... 11
الوجود العثماني في بلاد الشام ومصر..... 14
1- عوامل إتجاه العثمانيين إلى بلاد الشام ومصر 14
2- إلحاق بلاد الشام بالدولة العثمانية 15
3- الحكم العثماني في بلاد الشام..... 19
4- إلحاق مصر بالحكم العثماني..... 23
5- الحكم العثماني في مصر 28
الحكم العثماني للحجاز واليمن..... 31
أ- إنضمام الحجاز إلى السلطة العثمانية 31
ب- الحكم العثماني في بلاد الحجاز..... 32
2- اليمن 34
أ- الحكم العثماني في اليمن 36
ب- عوامل عدم إستقرار الحكم العثماني في اليمن 37
التدخل العثماني لحماية سواحل الجزيرة العربية..... 38
1- الإحتلال البرتغالي لسواحل الجزيرة العربية..... 38
2- الصراع العثماني البرتغالي على سواحل الجزيرة العربية 41
الوجود العثماني في السودان وشرق إفريقيا 46
(تأسيس ولاية الحبشة)..... 46
1- التوجه العثماني إلى البحر الأحمر 46

2- تأسيس إيالة الحبشة: 48
الحكم العثماني للعراق والتصدي للنفوذ الصفوي 52
أ- الحكم العثماني في العراق 58
العثمانيون وقضية الأندلس 62
1- في عهد السلطان محمد الفاتح (1444 - 1482)..... 62
2- في عهد السلطان بايزيد الثاني(1481-1512) 64
3- في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566) 66
الحكم العثماني للجزائر..... 68
أ-الجزائر إيالة عثمانية..... 75
ب- استقلالية الجزائر 81
جـ- مكانة الجزائر الدولية 82
الحكم العثماني في تونس 84
1- جهود خير الدين بربروس في مواجهة الإسبان 84
2- العثمانيون في مواجهة التوسعات الإسبانية باشا..... 88
3- تونس إيالة عثمانية 88
4- الحكم العثماني في تونس 89
الحكم العثماني في طرابلس الغرب..... 90
1- طرابلس الغرب تحت سيطرة الإسبان وفرسان مالطا وبروز درغوث باشا..... 91
2- جهود العثمانيين ودرغوث باشا ضد الإسبان 91
أ- الحصار العثماني وبداية الهجوم 95
ب- نهاية الصراع وتأسيس إيالة طرابلس الغرب..... 104
جـ- مراد أغا واليا على طرابلس الغرب 106
خاتمة..... 108
الملاحق..... 109
قائمة المصادر والمراجع..... 116

مقدمة

يمتلك العالم العربي موقعا متميّزا بفضل مجموعة الخصائص التي يمتلكها بإعتباره مركزا لأقدم حضارات العالم القديم، كما أنه يمثّل نقطة إرتباط وتواصل بين أجزاء العالم عبر البلاد العربية عبر الطرق البرّية والبحرية، إضافة إلى وفرة الموارد الطبيعية والإقتصادية، وهو ما جعله محل تنافس بين القوى الكبرى.

أتاحت الظروف السياسية التي عرفتها المنطقة العربية الفرصة للدولة العثمانية للتوسّع على أراضيها مستفيدة من الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية والإقتصادية المرتبطة بضعف دولة المماليك في بلاد المشرق، والوضع المضطرب للدويلات الإسلامية في بلاد المغرب، والتحرّشات والحملات الصليبية على سواحل المنطقة العربية خاصة من إسبانيا والبرتغال، كل هذه الظروف مهّدت الطريق أمام الدولة العثمانية لضم البلاد العربية في ظل السيادة العثمانية من بداية القرن 16م.

العالم العربي قبيل مجيء العثمانيين

1- بلاد المشرق:

بعد تخلّص المشرق العربي من الخطر الصليبي بدأ يتعرّض لغزوات المغول على يد جينكيزخان(Genghis Khan)(1165-1227م) وهولاكو(Hulagu)(1217- 1265م) الذي قضى على الخلافة العباسية سنة 1258م، وامتد نفوذ المغول على بلاد الشام إلى غاية تصدّي المماليك لهم بقيادة السلطان سيف الدين قطز[1] وقائده الظاهر بيبرس(1223-1277م) الذي ألحق بهم هزيمة نكراء في عين جالوت سنة 1260م، واستطاع حصر نفوذهم ضمن حدود العراق، وكان ضعف الدولة الأيوبية (1171 – 1250م) أمام المغول عاملا لتوسّع المماليك وسيطرتهم على الحكم في مصر بعد القضاء على آخر السلاطين الأيوبيين طوران شاه(1249- 1250)[2]، وسيستمر حكم المماليك إلى غاية سنة 1517م تاريخ القضاء على حكمهم من قبل العثمانيين[3].

أ- عوامل إنهيار دولة المماليك: يمكن حصر عوامل ضعف وسقوط دولة المماليك في العوامل التالية:

- عدم تطوير الأسلحة والفنون القتالية عكس العثمانيين الذين اعتمدوا على الأسلحة نارية والمدفعية حيث إستخدموا أحدث أنواع المدفعية النحاسية المركّبة على عجلات[4].

---

[1] **سيف الدين قطز**: سلطان مملوكي امتد حكمه بين 1259- 1260م، بعد قبضه على الملك المنصور وأخيه أمهما وإعتقلهم في أحد أبراج القلعة في سنة 1259م، صار سلطانا على الديار المصرية واتفق الحاضرون على توليته، ورضي به الأمراء الكبار ...ولقبوه بالمظفّر، للمزيد ينظر: علي محمد محمد الصلابي، السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،2009، ص86.

طوران شاه: ابن الملك الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب الذي توفي وهو يقاتل الصليبين فأخفت زوجته شجرة الدر خبر[2] وفاته وطلبت من إبنه الوحيد توران شاه المجيء من بلاد الشام إلى مصر لمواصلة قتال الصليبيين وتولت هي إدارة شؤون الدولة، وبعد إنتهاء القتال وإنتصار الأيوبيين تولى طوران شاه الحكم إلا أنه أساء تسيير شؤون الدولة وإختلف مع المماليك الذين سيتحالفون مع شجرة الدر للقضاء عليه، انظر:محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي(العهد المملوكي)**، ط5، ج7، المكتب الإسلامي، بيروت،2000، ص23.

[3] محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام(1250- 1517)**، ط1، دار النفائس، بيروت، 1997، ص506.

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص503.

– الفتن والإضطرابات بين المماليك على الحكم مما أثر على إستقرار الحكم.

– كره الرعايا للسلاطين بسبب ترفهم وعزلتهم عن العامة.

– الخيانات بين صفوف المماليك.

– تراجع الأحوال الإقتصادية بعد تغيّر الطرق التجارية.

ب– نتائج سقوط دولة المماليك:

– ضم أملاك المماليك في مصر وبلاد الشام والحجاز والجزيرة العربية للدولة العثمانية.

– إنتقال مركز الخلافة الإسلامية من مصر إلى إسطنبول حيث خطب للسلطان خادما للحرمين الشريفين.

– التصدّي للأخطار البرتغالية في البحر الأحمر والمحيط الهندي والإسبانية في سواحل شمال إفريقيا.

– سيطرة الدولة العثمانية على طريق التجارة القديم المار بين مصر عبر البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط إلى أوربا، وقامت بتجديد المعاهدات التجارية مع البندقية للسماح لها بالتجارة في الأراضي التي كانت تخضع للمماليك.

2– بلاد المغرب:

قامت على أنقاض دولة الموحدين ثلاث دويلات، الحفصية في المغرب الأدنى، الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة المرينية في المغرب الأقصى، وسعت كل واحدة من هذه الدويلات إلى توحيد بلاد المغرب لصالحها واستمرت حتى أواخر القرن 15م، ورغم المحاولات لم تتمكّن بلاد المغرب من استعادة وحدتها التي كانت عليها أيام الموحدّين لإفتقار هذه الدويلات للقوة اللازمة فتعرّضت منطقة الشمال الإفريقي لعدة حملات عسكرية أوربية

استهدفت إحتلال مراكز مختلفة على شواطئ بلاد المغرب غير أنها لم تتمكّن من تحقيق أهدافها بشكل دائم ومستمر إلى أن استولى البرتغاليون على بعض المراكز على الساحل الغربي للمغرب الأقصى، ومن جهتهم حاول الإسبان الإستيلاء على مواقع وموانئ في سواحل البحر الأبيض المتوسط ونجحوا في إحتلال مليلية ووهران إلا أن أوضاعهم الداخلية المرتبطة بحروب الوراثة بين إسبانيا وفرنسا قد أثّرت على تحركاتهم، وقد تزامن ذلك مع توسّع العثمانيين الكبير في مصر وبلاد الشام وتطلّعهم إلى بسط نفوذهم على بلاد المغرب.

3- إتجاه العثمانيين إلى البلاد العربية:

مع بداية القرن 16 م تهيّأت كل الظروف لبداية سياسة خارجية جديدة تبنّاها السلطان سليم الأول(1512 - 1520)[1]، حيث وجّه اهتمامات الدولة العثمانية نحو بلاد المشرق متخلّيا بذلك عن تقاليد آبائه التوسّعية في الأراضي الأوروبية[2].

تتّفق آراء المؤرخين حول أسباب تغيير السلطان سليم الأول لسياسة دولته الخارجية، حيث يرجعها المؤرخون للتوسّع الذي حققّته الدولة العثمانية في الجهة الأوروبية خلال هذه المرحلة ما دفعها إلى تغيير موقفها، خاصة وأن الدول الأوربية اتجهت لتشكيل تحالفات مضادة لإيقاف توسّعاتها وهو ما جعلها تغيّر موقفها من الهجوم إلى الدفاع.

استفحال الخطر الصفوي الذي أصبح يهدّد كيان الدولة العثمانية خاصة في المناطق الشرقية للأناضول يعتبر عاملا مهما في تفكير الدولة العثمانية لتغيير إتجاه توسعاتها باتجاه المنطقة العربية، دون أن ننسى أن الدولة الصفوية عملت على الإتصال بالأوربيين.

ضعف دولة المماليك في مصر، وتزايد الخطر البرتغالي في شبه الجزيرة العربية الذي هدّد المقدّسات الإسلامية والطرق التجارية، بالإضافة إلى الخطر الإسباني في سواحل شمال

---

[1] **السلطان سليم الأول** هو اصغر أبناء السلطان بايزيد الثاني، يختلف المؤرخون حول سنة ولادته بين 1467 و 1470 م،لكن اغلب المصادر ترجع أن ولادته كانت سنة 875 هـ الموافق ل 1470 م ،ينظر: مؤلف مجهول، **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تحقيق: هانس ارنست، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د م، ص 5.

[2] سيّار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 63.

إفريقيا[1]، كذا ظهور الدولة الصفوية كقوة ذات أهداف توسّعية وتوجّهات مذهبية مختلفة عن الدولة العثمانية وازدياد نفوذ البرتغاليين في البحر الأحمر والخليج العربي في الشرق[2]، إلى جانب عجز الدولة المملوكية عن التصدّي لهذه القوة الجديدة جعل السلطان سليم الأول يوقف الفتوحات في الروملي[3] تقريبا[4] ويتّخذ من بلاد المشرق هدفه التوسعي التالي، خاصة أن الدولة العثمانية منذ قيامها جعلت نفسها حامية للإسلام والمسلمين.

ارتبط إسم السلطان العثماني سليم الأول وفترة حكمه في التاريخ العثماني بمسألة تحوّل في وجهة فتوحات الدولة العثمانية، حيث اتجه العثمانيون في المراحل الأولى لدولتهم إلى الميدان الأوروبي، ومنذ بداية عهده اتجه العثمانيون بفتوحاتهم نحو الشرق[5]. وتغيّر الموقف العثماني في الجهة الأوروبية من موقف الهجوم إلى الدفاع[6]، فكانت من أهم آثار هذا التحوّل هي امتداد رقعة الدولة العثمانية، لتصبح إمبراطورية تمتد في آسيا وأوروبا وإفريقيا.

بدأ العهد الجديد بإدراك السلطان سليم للخطر الذي تمثّله التحركات السياسية والعسكرية والمذهبية الصفوية على كيان دولته خصوصا من جهة استقرار المقاطعات الأناضولية، فلم تكن الدولة العثمانية قد واجهت خطرا بحجم الخطر الذي أضحى يهدّدها في حدودها الشرقية مع الدولة الصفوية إلا ذلك الخطر الذي كانت قد واجهته أيام الزحف المغولي بقيادة تيمورلنك[7].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996م، ص 26.

[2] محمد عبد اللطيف هريدي، **الحروب العثمانية الفارسية وآثارها في إنحسار المد الإسلامي عن أوربا**، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ، 1987، ص48.

[3] عقد السلطان سليم لأول معاهدات سلام مع البندقية والمجر لتهدئة الجهة الغربية فبعد امتلاكه العرش وصله سفراء البندقية والمجر لتقديم التهاني بهذه المناسبة، فاتحا بذلك عهدا جديدا من العلاقات السلمية مع أوروبا، للمزيد أنظر: إيناس سعدي عبد الله، **تاريخ العراق الحديث 1258م-1918م**، ط1، دار عدنان، بغداد، 2014، ص 197-198.

[4] إدريس الناصر الرائسي، **العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر**، ط1، دار الهادي، بيروت، 2007، ص 36.

[5] محمود محمد الحويري، **تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001،ص 208.

[6] إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان الرياض، 1997، ص29.

[7] يلماز أوزوتونا، **تاريخ الدولة العثمانية**، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، ج1، منشورات فيصل للتمويل، تركيا، 1988، ص216.

إن عوامل إتجاه العثمانيين إلى بلاد المشرق تتعدّد بين العوامل السياسية والإقتصادية والإستراتيجية، تضاف إليها عوامل مواجهة الدولة الصفوية المناوئة للعثمانيين إلى جانب شخصية سليم الأول القوي والطموح، وعامل التنافس العثماني المملوكي على مناطق جنوب الأناضول.

الوجود العثماني في بلاد الشام ومصر

تشغل بلاد الشام ومصر موقعا إستراتيجيا متميّزا في قلب العالم القديم فهما المحور المركزي الذي تمر عبره الطرق الجيواستراتيجية التي تصل الشرق بالغرب، وهو ما جعلهما محط الأنظار ومجالا للصراع والتنافس[1].

لقد شكّل هذا الموقع المتميّز حافزا للدولة العثمانية خلال مطلع القرن السادس عشر لضم مناطق بلاد الشام ومصر إلى ممتلكاتها، وخاصة مع ضعف دولة المماليك وتهاوي قوتها التي كانت تسيطر بها عليها، كما اعتبرت الدولة الصفوية بلاد الشام ضمن أهدافها التوسعية لكونها المنفذ الإجباري نحو الواجهة البحرية المتوسطية التي كانت تطمح للوصول إليها، حيث أن الطرق التجارية البرية التي تخترق الهضبة الفارسية تمر بعمق بلاد الشام باتجاه سواحل البحر المتوسط نحو أوروبا وخاصة عبر محوري حلب ودمشق وهذه الأخيرة تعتبر أهم المدن التي تمر عليها شبكة طرق التجارة العالمية فكان لها وزنها الإقتصادي والجيوسياسي [2].

تعتبر الأجزاء الشمالية لبلاد الشام ذات الغالبية الكردية امتدادا طبيعيا وقوميا لبلاد الأكراد الواقعة في حدود الدولتين العثمانية والصفوية وشمال العراق، فشكّلت بذلك الأقاليم الكردية المتفرقّة في تبعيتها الجيوسياسية محورا مهما من محاور الصراع العثماني الصفوي.[3]

1- عوامل إتجاه العثمانيين إلى بلاد الشام ومصر:

اتجه السلطان سليم الأول إلى بلاد الشام ومصر سنة 1516م لمحاربة المماليك لعدة عوامل:

---

[1] ليندا شيلشر، **دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، تر:عمرو دنيا الملاح، مراجعة : عاطف مارديني، دار الجمهورية، دمشق، ط1، 1998، ص 17.

[2] ليندا شيلشر، المرجع السابق ،ص 17.

[3] حمزة عيجولي، **العلاقات العثمانية الصفوية وإنعكاساتها على المشرق(1514- 1736)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2014، ص173.

1- الرغبة في بسط السيادة على الحرمين الشريفين.

2- الإستفادة من موارد المنطقة.

3- التصدي للخطر البرتغالي.

4- إيواء المماليك والصفويين للأمراء العثمانيين الفارين مما أثار السلاطين العثمانيين خوفا من إمداد هؤلاء الأمراء بالجيوش لمحاربتهم.

5- الصراع مع المماليك على الإمارات المجاورة في الأناضول وشمال الشام والسعي لتعيين أمير موالي سبّب توترا بين الطرفين.

6- التحالف الصفوي المملوكي ضد العثمانيين، فقد عمل السلطان المملوكي قانصوه الغوري على التحالف مع الشاه إسماعيل الصفوي للحفاظ على مناطق النفوذ في بلاد الشام وآسيا الصغرى[1]، لكنه كان تحالف هشا بسبب تناقض الدولتين مذهبيا.

7- عمل سليم الأول على تأمين التجارة الآتية من الشرق عبر البلاد العربية، والتي أصبح الخطر البرتغالي يعوق مسيرتها ويحصّل الأموال من المكوس المفروضة على البضائع[2].

هذه العوامل هي التي جعلت السلطان سليم الأول يتجه إلى بلاد الشام.

2- إلحاق بلاد الشام بالدولة العثمانية:

وجّهت الدولة العثمانية أنظارها في بداية القرن16م نحو المنطقة العربية بعد عجزها عن التوسّع أكثر في أوربا، فأصبحت البلاد العربية مسرحا لصراع ثلاث قوى، الإمبراطورية العثمانية[3]، و دولة المماليك [1] والدولة الصفوية[2].

---

[1] إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1996، ص59.

[2] أحمد فؤاد متولي، **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي**، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص202.

[3] عبد الكريم رافق، **العرب و العثمانيون 1516-1916 م**، ط 2 ، دمشق،1993،ص 55.

بروز الدولة الصفوية كقوة تملك ثقلا سياسيا مبنيا على قاعدة دينية مذهبية صلبة، وتبنّيها إستراتيجية ترتكز في علاقتها بالدولة العثمانية في مجملها على إثارة الفتن والفوضى، وإشاعة عدم الاستقرار، وتفجير القلاقل والمشاكل داخل الدولة العثمانية، بالتحريض والتشجيع والتأييد لحركات التمرّد لحركات التمرّد المذهبية، وإيواء قادتها كلما فشلوا في مسعاهم تارة، وبّث الدعاة لنشر المذهب تارة أخرى، أدى إلى تغيرات عميقة في الإستراتيجيات العثمانية في مختلف المستويات[3].

يعتبر الصراع العثماني الصفوي المسؤول عن التغيّر الذي حدث في السلطة العثمانية وتولي سليم الأول الحكم[4]، كما أن السياسة الصفوية فرضت على الدولة العثمانية إتخاذ تدابير دينية شديدة جعلت الحكم أكثر من أي وقت مضى يتّسم بصلابة العقيدة والتمسك بأهداب السنة [5].

حاول الصفويون البحث عن حلفاء يدعمون سياستهم وتوسعاتهم من خلال اتصالهم بالبندقية[6] والبرتغال ومحاولتهم نشر المذهب الشيعي[7]، ومن جهة أخرى محاولة الدولة العثمانية إيجاد مناطق جديدة تتوسّع على حسابها لتحقيق أهدافها الإستراتيجية في السيطرة

---

[1] **دولة المماليك** :أصلهم من الأتراك الجراكسة والمغول، وهم صنف من العبيد استقدمتهم الدولة الأيوبية للخدمة العسكرية، ثم أنشئوا دولتهم على أنقاضها سنة 1253 م، وهم ينقسمون إلى مماليك بحرية ومماليك برجية، ينظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**،ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت،2000 ، ص 408.

[2] **الدولة الصفوية:** يعود تأسيسها إلى أواخر القرن 15م، واستمرت لأكثر من قرنين، سميت بهذا الاسم نسبة إلى صفي الدين الأردبيلي، وقد تأسست بأردبيل الذي استطاع أن يجمع العشائر التركمانية حديثة الإسلام، وتبنّت المذهب الشيعي، وتحوّلت إلى حركة سياسية بعدما تمكّن إسماعيل بن حيدر من السيطرة على إيران، ينظر: بديع جمعة أحمد الخولي، **تاريخ الصفويين وحضارتهم**، ط 1، دار الرائد العربي القاهرة، 1976، ص 28.

[3] عبد الحفيظ دحدح ،العلاقات **العثمانية الصفوية خلال القرن10هـ/16م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2014- 2015، ص 88.

[4] الشيبي كامل مصطفى، **الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر**،ط1 ، مكتبة النهضة ،بغداد،1386هـ/1968 م، ص31.

[5] إدوار برّوى، **تاريخ الحضارات العام (القرون الوسطى)**،ج3، ترجمة: يوسف أسعد داغر و فريدم داغر، ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت ،1994 ، ص585.

[6] **البندقية:**هي مدينة تقع على البحر الأدرياتيكي، ومن أهم المدن التجارية، كانت تسيطر على المنطقة حتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح،اشتهرت بحروبها مع الدولة العثمانية ، ينظر: فريد بك المحامي،**تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط 1، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس بيروت،1918 ، ص 163.

[7] الغالي غربي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1288-1916 م**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2011،ص 56.

على البحر الأبيض المتوسط، فكان من الطبيعي أن تتأزم علاقاتها بالمماليك، ومما زاد من حدة الصراع هو ظهور قبيلة تركمانية نشأت بين سنتي 1337 و 1339 م عرفت باسم ذي القادرية أو ذو القادر اعتبرها المماليك منطقة تابعة لهم في حين جاورها العثمانيون شمالا، فإذا اختلف أمراء البيت الواحد كان طرف يستنجد بالمماليك والآخر يستعين بالدولة العثمانية.

زيادة على إعلان شاه[1] سوار (1466- 1472م) استقلاله عن المماليك و محاباته للعثمانيين، وقد وقع اصطدام بين الجيوش العثمانية والمملوكية بين سنتي 1485 و 1492م نظرا لإتساع النفوذ العثماني والذي اعتبره المماليك تحديا لهم وانتصر فيها المماليك لانشغال الدولة العثمانية في التوسع في أوروبا [2]، ومع تقلّد السلطان سليم الأول سدة الحكم تحسّنت العلاقات بين الدولتين وظهر ذلك من خلال استقبال السلطان المملوكي قنصوه الغوري[3] في سنة 1512 م مبعوثا من السلطان سليم الأول يعلمه بتقلّد حكم الدولة العثمانية[4] كما أرسل السلطان الغوري بدوره وفدا يحمل التهاني للسلطان سليم الأول في شهر جويلية 1513 م [5].

ستتوتّر العلاقات بين الطرفين بسبب لجوء أمراء الدولة العثمانية إلى دولة المماليك هذه الأخيرة أمّنت لهم الحماية وذلك إثر الصراع الذي نشب بين سليم وإخوته على العرش[6]،

---

[1] **شاه:** لفظ فارسي معناه الملك، جمعه شاهات، دخل العربية في العصر الإسلامي فأضيف إلى بعض الأسماء العربية الفارسية، انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 267.

[2] زيادة نيقولا، **الفتح العثماني لبلاد الشام و آثاره المباشرة**، مج 11، ع 44، دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، لبنان، 1999 م ،ص ص 12،11.

[3] **السلطان الغوري:** الظاهر الأشرفي، الملك الأشرف، أبو نصر سيف الدين نسبة إلى طبقة الغور، تولى السلطة و دامت فترة حكمه خمسة عشر سنة، قتل في معركة مرج دابق سنة 1516 م، ينظر: علي عبد القادر الطبري، **الأرج المسكي في التاريخ المكي و تراجم الملوك الخلفاء**، تحقيق وتقديم: اشرف احمد جمال، ط 1، المكتبة التجارية، المملكة العربية السعودية ،1996 م، ص 284.

[4] ابن أجا محمد بن محمود الحلبي، **العراك بين المماليك و العثمانيين الأتراك**، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1986 م، ص 289.

[5] الحنفي محمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج 4، د ط، د م، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1984 م، ص 289.

[6] أحمد فؤاد المتولي، **الفتح العثماني لمصر و الشام و مقدماته من واقع الوثائق العربية المعاصرة له**، ط 1، مصر، الزهراء للإعلام، 1995 م، ص 196.

ومطالبة بعض أهالي بلاد الشام الإنضمام إلى الدولة العثمانية رغبة منهم في التخلّص من جور وظلم المماليك[1].

بعد عودة السلطان سليم الأول من الجبهة الفارسية احتل إمارة البستان(ذي القادر) عند الحد الشمالي لحلب إنتقاما من أميرها علاء الدين الموالي للمماليك والذي امتنع عن مساعدة العثمانيين في معركة جالديران[2]، وبعد القضاء عليه عيّنوا مكانه شاه سوار(شهوار)الذي حكم الإمارة تحت الراية العثمانية، واعتبر قانصوه الغوري هذا العمل موجها ضدّه، وعند رفض المماليك تسليم إبن أخ السلطان سليم وهو ما اعتبره هذا الأخير عملا عدائيا موجّها ضدّه فتقدّم لمواجهة الجيش المملوكي.

كل هذه العوامل أججّت صراعا كان مرتقبا بين الطرفين وهذا ما تحقق حيث اصطدم الجيشان في 24أوت 1516 م في موضع يعرف بتل الفار في مرج دابق[3] قرب حلب[4] وهزم المماليك وتوفي السلطان المملوكي قنصوه الغوري.

يعود انتصار الدولة العثمانية إلى قوتها العسكرية زيادة على انقسام الجيش المملوكي وتواطؤ خاير بك المملوكي[5] و جان بردي الغزالي[6] مع العثمانيين الذي كان واليا على حماه

---

[1] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط**، ط 1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، بورسعيد، 2001 م، ص ص 185،186.

[2] **معركة جالديران:** أو تشالديران معركة وقعت بواد جالديران بين القوات العثمانية والصفوية انتهت بإنتصار العثمانيين في أوت 1514 ودخول المدينة في 04 سبتمبر 1514م ، للمزيد ينظر: يلماز أوزوتونا، المرجع السابق، ص 218، محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص191.

[3] **مرج دابق** : هي إحدى قرى أعزاز شمال حلب وقعت فيه معركة بين العثمانيين والمماليك إنتهت لصالح العثمانيين، للمزيد ينظر: محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 191.

[4] **حلب:** تقع في شمال سوريا وتعد من أهم المدن التجارية، وبقربها موقع مرج دابق التي جرت فيه المعركة بين المماليك والعثمانيين، انظر: عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ط 1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000 م، ص205.

[5] **خاير بك** : هو ابن مال باي ابن عبد الله المشهور بالغزالي، والي حلب في عهد دولة المماليك، تعاون مع السلطان سليم الأول ضد المماليك ثم عينه واليا على مصر، ينظر: البكري الصديقي محمد بن ابي السرور، **المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية**، تح: ليلى الصباغ، ط 1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، د م،1995 م،ص 74.

[6] **جان بردي الغزالي:** هو جان بردي بن عبد الله الجركسي، كان واليا على حماه في العهد المملوكي، تعاون مع السلطان سليم وخاير بك على قانصوه الغوري،عينه السلطان سليم الأول واليا على دمشق وغزة وصفد، قاد ثورة في عهد السلطان سليمان (1520– 1566) إلا أنها أخمدت وتم القضاء عليه سنة 1521، ينظر: البكري الصديقي محمد بن أبي السرور، نفسه، ص 75، أحمد بن يوسف القرماني، **أخبار الدول وآثار الأول في التّاريخ**، تح أحمد حطيط وفهمي سعد، مج3، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1992م، ص47.

وعلى إثر ذلك كافئهم السلطان سليم الأول بأن جعل الأول واليا على مصر، والثاني واليا على الشام[1].

بعد المعركة توجه السلطان سليم الأول نحو حلب ودخلها في 28 أوت 1516م، ومكث بها ثمانية عشر يوما نظّم فيها شؤون المدينة، وذكر إسمه في خطبة الجمعة 8 شعبان 922 هـ الموافق ل 3 سبتمبر 1516 م، ولقّب بخادم الحرمين الشريفين، ثم توجه العثمانيون باتجاه الجنوب فتحوا حماه[2] في 19 سبتمبر 1516م، ثم دخلوا حمص[3] في 22 سبتمبر 1516م، ثم أعدّوا العدة للتوجه إلى دمشق[4] التي فتحوها في 27 سبتمبر 1516م، وقدّم زعماءها الولاء والخضوع للدولة العثمانية[5]، وبقي فيها أربعة أشهر لضبط أمور الحكم، وبذلك أصبحت بلاد الشام تابعة للدولة العثمانية.

3- الحكم العثماني في بلاد الشام:مر الحكم العثماني في بلاد الشام بأربع مراحل:

- المرحلة الأولى: عرفت ضم بلاد الشام مع بداية القرن السادس عشر و تحديدا من 1516 م حتى النصف الثاني من القرن ذاته، وقد عرفت هذه المرحلة توسّع الفتح العثماني وتوجيه الحملات للقضاء على الثورات المحلية والعمل على توطيد الحكم داخليا وتنظيم الشؤون الإدارية.

- المرحلة الثانية: عرفت خلالها بلاد الشام الإستقرار والهدوء بعد تثبيت الحكم العثماني.

---

[1] عبد الكريم رافق، **المشرق العربي في العهد العثماني**، ط 4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1992 م، ص 46.

[2] **حماه:** مدينة سورية على نهر أورنتس في شمال سوريا ويتخللها نهر العاصي الشهير، عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص208.

[3] **حمص:** مدينة سورية تقع على نهر أورنتس، تفع على بعد حوالي 100 كلم شمال شرق مدينة طرابلس اللبنانية، انظر: نفسه، ص 207.

[4] **دمشق:** من أقدم المدن الإسلامية كانت عاصمة الدولة الأموية وهي مدينة محاطة ببساتين الغوطة وبها الكثير من الاسواق والبوابات والمصانع، انظر: نفسه، ص 235.

[5] عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516-1898 م**، ط 2، د ن، دمشق، 1968، ص 46.

– المرحلة الثالثة: عرفت البلاد مرحلة من اللاإستقرار والإضطراب خاصة مع ضعف الحكم العثماني مع الربع الأول من القرن الثامن عشر بسبب تزايد النفوذ المحلي وظهور الأسر الحاكمة المحلية.

– المرحلة الرابعة: امتدت خلال القرن التاسع عشر عرفت البلاد مجموعة من الإصلاحات[1].

حافظت بلاد الشام بعد إلحاقها بالدولة العثمانية على نفس التقسيمات الإدارية التي كانت في العهد المملوكي سابقا، فاستمر تقسيمها إلى ثلاث ولايات الشام وحلب وطرابلس، ثم أعاد السلطان سليمان القانوني النظر في التقسيمات الإدارية في بلاد الشام لعدة اعتبارات، أهمها الثورة التي قادها والي بلاد الشام جان بردي الغزالي والتي انتهت بهزيمة هذا الأخير على يد الجيش العثماني، والتي شكّلت منعطفا هاما في دراسة الوحدة الترابية لبلاد الشام لذلك أعاد تقسيم بلاد الشام إلى أربع ولايات، ولاية الشام، ولاية حلب، ولاية طرابلس، ولاية صيدا، وكانت ولاية الشام أهم هذه الولايات لاتساع رقعتها الجغرافية ومكانتها، واستمر هذا التقسيم حتى الاجتياح المصري لبلاد الشام [2].

طرأت تغييرات وتعديلات إدارية على تلك التقسيمات مع بداية القرن الثامن عشر وأصبحت تقسم إلى خمسة باشويات هي: الشام، صيدا، فلسطين، طرابلس، حلب، هذا عدا إيالة تدمر[3] وإيالة عجلون[4] الملحقة ببشاوية فلسطين، وكان لكل إيالة مجلس شورى يتألف

---

[1] محمد غسان عبيد، **تاريخ دمشق الاجتماعي والاقتصادي والعمراني من خلال سجلات المحاكم الشرعية دمشق (1137-1170هـ/1724-1756 م)**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، سوريا، 2004، ص ص 3، 4.

[2] الغالي غربي، المرجع السابق، ص 81.

[3] **تدمر:** مدينة عتيقة في الصحراء السورية تقع على بعد 200 كلم شمال شرق دمشق، ينظر: عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص 91.

[4] **عجلون:** مدينة أردنية، تعد من أهم مدنها الساحلية تقع على بعد حوالي 80 كلم إلى الشمال من العاصمة الأردنية عمان، قريبة من جبال عجلون وترتفع عن سطح البحر بحوالي 1.5 كلم، ينظر: عبد الحكيم العفيفي، المرجع نفسه، ص 335.

من كبار العلماء والموظفين والأعيان[1]. ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أصبحت بلاد الشام مقسمة إداريا حسب نظام حكومتها المطبق آنذاك إلى خمسة ولايات.

سعت الدولة العثمانية من خلال تلك التنظيمات إلى تأكيد نفوذها والمحافظة قدر المستطاع على الأسس الاقتصادية والاجتماعية والأطر الحياتية التي كانت تعيشها بلاد الشام قبل فتحها والاهتمام بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها على المذهب الحنفي السني[2].

عملت السلطة العثمانية في بلاد الشام على تنظيم المجال الإقتصادي باعتباره أحد أهم المجالات نتيجة ما يحقّقه من عائدات تعود عليها بالفائدة وتنعكس على المجالات الأخرى فوجدت في المناطق التابعة لها ذلك الطموح ومن بين تلك الولايات بلاد الشام التي كانت مركزا إقتصاديا مهما زراعيا وصناعيا وحرفيا.

لم تنتهج السلطة العثمانية سياسة بناءة بغية إعادة ازدهار الزراعة، ولم يكن للدولة أي مشروع زراعي بل اكتفت بالمحافظة والإبقاء على النظام القائم الذي كانت تراه مثاليا لتوافقه مع الشريعة الإسلامية ومع مصالحها الخاصة.[3]

تمثّلت المصالح الخاصة في تحصيل الضرائب، حيث حرص العثمانيون على مسح الأرياف بشكل دوري بهدف ضبط الأراضي الزراعية لتحديد نسبة الرسوم والضرائب المفروضة ولتفادي التهرّب الضريبي، حيث كانت جميع القرى مسجلة بمساحتها في الدفاتر الخاقانية أو السلطانية، وتضمّنت تلك الدفاتر عدد السكان في كل قرية ومقدار الأموال الميرية المقرّرة عليها، فإن كانت كمية الغلال من الحبوب قمحا أو شعيرا أو مبلغا نقديا فإنها

---

[1] محمد علي الأحمد، **سقوط الخلافة–عرب الشام والدولة العثمانية**، ط 1، دار حمورابي للنشر والتوزيع، الأردن،2007، ص ص 83،84.

[2] ليلى الصباغ، **المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني**، د ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1983 م، ص 15.

[3] ليلى الصباغ، المرجع نفسه، ص 47.

تدعى مقطوعا، وإذا كانت حصة محدّدة بنسبة النصف من إنتاجها الزراعي فإنها تسمى قسما، وكانت الدفاتر تحفظ في مقر الدفتردارية بقلعة دمشق ويشرف عليها الولاة شخصيا[1].

كان لطبيعة الحكم العثماني دور بارز في تطور وازدهار التجارة، بإلغاء القيود والعراقيل ويتجلّى ذلك من خلال ارتفاع وتيرة المبادلات والحركات التجارية بسبب الإهتمام الكبير بالطرق التجارية الإستراتيجية [2]، فعملت الدولة العثمانية على حماية وصيانة الطرقات الكبرى ذات الطابع الاستراتيجي أو الديني من خلال إنشاء المراكز المحصّنة والطرق المعبّدة والجسور وقد حظي طريقان أساسيان على نحو خاص باهتمام الإدارة العثمانية في سوريا، الأول طريق قافلة الحج إلى مكة، والثاني المحور الكبير الذي يجتاز فلسطين واصلا دمشق بالقاهرة.

ساهمت معاهدة الإمتيازات الموقّعة بين السلطان سليمان القانوني[3] والملك الفرنسي فرانسوا الأول(François Ier) [4] سنة 1535م على تدفّق التجار الفرنسيون في بلاد الشام ، وقد قدّر القنصل درافيو (D'Arvieux) في عام 1094 هـ /1683 م قيمة ما استوردته فرنسا من البضائع الحلبية بمليون ليرة، في حين وصلت تجارة الانجليز إلى ستة ملايين.[5]

شكّلت مراكز التجارة متنفسا للتجار، فأسواق مدينة دمشق يتوزّع بعضها في الأحياء البعيدة عن وسط المدينة، وكانت بدورها تشتمل على 6900 دكان يمتلكها التجار والعاملين بالبيع والشراء، ومن أشهر هذه الأسواق سوق العلبية وسوق البزورية التي تباع فيها مشتقات

---

[1] ضمياء عزيز مناور، سمرد عكيدي فتحي، **مصادر دخل الدولة العثمانية من مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر الميلادي**، ع 113، **مجلة الآداب**، بغداد، 2015 م، ص 369.

[2] الغالي غربي المرجع السابق، ص 99.

[3] **سليمان القانوني:** هو ابن سليم الأول، ولد سنة 1495 م في طرابزون، تولى الحكم خلفا لوالده سنة 1520 م لقبه المؤرخون بالقانوني وتوفي سنة 1566 م، انظر: نورة عبد الرزاق العلي،**السلطان سليمان القانوني (حياته،حروبه،إدارته)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الدولة العثمانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2011 م، ص 41.

[4] **فرانسوا الأول 1494-1547 م:** ملك فرنسا 1547-1550 م، أحدث تغييرا جذريا في بنية بلاده الاقتصادية والاجتماعية في مرحلة الانتقال من القرون الوسطى إلى العصر الحديث، انظر: منير البعلبكي، **معجم أعلام المورد**، ط1، دار العلم للملايين،بيروت، 1992، ص317.

[5] مهنا المحمد، **الجاليات الأوروبية في ولاية حلب(1112-1210 هـ/1700-1800 م)**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، 2009 م، ص66،67،68.

العطارة والسكاكر والتوابل والحلويات[1]، وعلى الرغم من تنوّع هذه الأسواق وإختلاف نشاطاتها الإقتصادية كانت تخضع لمراقبة الدولة العثمانية من خلال وضعها قيودا على الأسعار وحجم الإنتاج ولم تقف عند ذلك الحد بل استعملت مؤسسات حكومية للتدخل في نشاط الأسواق ومراقبتها منها مؤسسة الحسبة [2] ومؤسسة التسعير[3].

4- إلحاق مصر بالحكم العثماني:

بعد الإنتصارات التي حقّقها العثمانيون في دمشق وصلت أنباء هزيمة المماليك إلى القاهرة في 14 سبتمبر 1516م، فكتب السلطان سليم الأول رسالة إلى طومان باي[4] الذي تولى حكم المماليك بعد مقتل عمّه قانصوه الغوري يعرض عليه فيها الإستسلام وحكم مصر بصفته تابعا للعثمانيين قائلا:﴿ وان أردت أن تنجو من سطوة بأسنا فاضرب السكة في مصر باسمنا وكذلك الخطبة، وتكون نائبا عنا في مصر﴾[5]، الأمر الذي رفضه طومان باي، بل بدأ في الإستعدادا للمواجهة، فاستطاع خلال مدة قصيرة، وفي ظل الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة المملوكية إعادة تنظيم التشكيلات العسكرية، وتزويدها بالعتاد الحربي

---

[1] نايف صياغة، **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر**، د ط، وزارة الثقافة، دمشق، 1995 م، ص 148،150،151.

[2] **مؤسسة الحسبة:** الحسبة في اللغة اسم من الاحتساب، ومن معانيها الأجر، حسن التدبير...وفي الاصطلاح أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن منكر اذا ظهر فعله، ينظر: الفيروزي أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، د ط، دار الرسالة، بيروت، 2005 م، ص 74. والماوردي أبو الحسن علي بن محمد، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989 م، ص 315.

[3] **التسعير:** التسعير في اللغة: تقدير السعر، وفي الاصطلاح: تقدير السلطان أو نائبه للناس سعرا وإجبارهم على التبايع بما قدره. ..، انظر: معاذ محمد عبد القادر عابدين، **التاريخ الاقتصادي للدولة العثمانية(1566-1924)**، أطروحة دكتوراه في الإقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن،2017 ،ص 283.

[4] **طومان باي:** هو آخر ملوك دولة المماليك، حكم في الفترة ما بين(879هـ- 923هـ/ 1474م- 1517م)، أظهر شجاعة كبيرة في صراعه ضد العثمانيين، إلى أن وقع في أسر السلطان سليم الأول الذي أعدمه شنقاً، وبذلك كانت مدة حكمه، 3 أشهر و14 يوما. للمزيد أنظر: عبد الله الشرقاوي، عبد الله، **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين**، تحقيق: رحاب عبد الحميد القاري، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1996م، ص ص 223، 224.

[5] ابن إياس محمد بن أحمد، **بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**، تحقيق: محّمد مصطفى، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص125.

بما في ذلك المدفعية المثبتة على العربات[1]، وإقامة التحصينات حول القاهرة، وفي أثناء ذلك استمر زحف الجيوش العثمانية نحو الجنوب، فاستولوا على طرابلس وصفد من غير مواجهة، وقلعة القدس الشريف ومدينة غزّة بعد قتال عنيف بين العثمانيين والمماليك فاخترقوا غرب سيناء في طريقهم إلى القاهرة بكل الأسلحة الثقيلة في 5 أيام بين 11- 16 جانفي 1517م[2]، وبعد هزيمة الحملة العسكرية التي أرسلها طومان باي بقيادة جان باردي الغزالي للدفاع عنها ، أثرت هذه الأنباء على معنويات المماليك خاصة بعد وصول أنباء عن مذبحة قام بها العثمانيون.

وضع السلطان طومان باي خطة عسكرية تقضي بالتصدي للجيوش العثمانية على الحدود، وإرهاقهم بالمعارك القصيرة، وبذل جهودا في تجهيز جيشه بشكل تام وقام بتحصين القاهرة ، وزوّد عددا كبيرا من جنوده بالبنادق كما شكّل صفا من مئة عربة تحمل مدافع خفيفة لمواجهة المهاجمين، إلا أن معارضة بعض القادة الكبار وإصرارهم على التمركز بالريدانية[3] خارج عاصمة المماليك، أجبر طومان باي على سحب قواته وتمركزها بالقرب من الريدانية[4] في الضاحية الشمالية للقاهرة، وُحفرت الخنادق ووضعت الحواجز ونصبت المدافع، وفي أواخر جانفي1517م وصلت القوات العثمانية بالقرب من القاهرة، وعسكر

---

[1] عانت المماليك خلال هذه الفترة من انقسامات داخلية على المستوى العسكري والمدني، وكذا الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها ما أثّر بدوره على الأوضاع الاجتماعية، فمن جهة سعى بعض الأمراء لتولي السلطة، ومن جهة أخرى الأهالي المصريين الناقمين على الدولة المملوكية والمؤيدين للوجود العثماني. للمزيد أنظر: أسامة حسن، **طومان باي آخر سلاطين المماليك**، ط1، دار الأمل، الجيزة، ط1، دار الأمل، جيزة، 2000م، ص ص 34، 38.

[2] Shaw Standford, **History of the Ottoman empire and modern Turkey**, Volume1, (1280- 1808) Cambridge University, Press, 1976, reprinted and band bound by Vaile - Ballou, Pres Inc, Binghamton, New York, p84

[3] **الريدانية:** قرية شمالي القاهرة بين مطرية وجبل الأحمر بمصر. أنظر :الحويري محمود محمد، **مصر في العصور الوسطى من العصر المسيحي حتى الفتح العثماني**، ط2، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص 280.

[4] طقوش محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1997م ص504,

السلطان العثماني بجيشه وفق إستراتيجية عسكرية وضعها السلطان العثماني والتي تهدف إلى تجنّب الصدام المباشر مع المماليك من جهة[1] وتوزيع الجيش العثماني إلى فرقتين لمحاصرة العدو من جهة أخرى.

التقى الجيشان في 22 جانفي1517م في الريدانية، وتمكّن العثمانيون فيها من محاصرة المماليك، فقد تفرقوا إلى فرقتين، فرقة جاءت من تحت الجبل المقطم، وفرقة جاءت للعسكر عند الوطاق بالريدانية[2]، وقذفوهم بالبنادق والرصاص، فتمكّنت المدافع والبنادق العثمانية من إختراق حواجزهم وخنادقهم[3]، ورغم مقاومة السلطان طومان باي التي أسفرت عن قتل الصدر الأعظم سنان باشا والعديد من الأمراء العثمانيين، إلا أن السلطان طومان باي لم يستطع الصمود، فلاذ بالفرار إلى الجيزة ، وهاجم العثمانيون الوطاق المصري واستولوا على جميع ما فيه من أقمشة وأسلحة وخيول وجمال وأبقار وعربات وغير ذلك [4].

دخل العثمانيون القاهرة ، وكان معهم الخليفة العباسي أمير المؤمنين المتوكل على الله وجماعة القضاة وأعلن السلطان للناس الأمان والاطمئنان والبيع والشراء وأنه قد أغلق باب الظلم وفتح باب العدل وخطب على المنابر في مصر والقاهرة، واعتقد السلطان سليم أنه انتهى من الأمر وضم مصر والقاهرة. انتقل السلطان إلى بولاق بعد أن تمكّن من تصفيتها من المماليك الذين يقطنون هذه المدينة،

قام السلطان طومان باي بتجهيز قوة عسكرية قوامها حوالي ستة آلاف مقاتل مجهزين بالأسلحة، وحفر الخنادق لتحصين أبواب القاهرة أمام العثمانيين[5]، ولما دخل الجيش

---

[1] عبد الدايم عبد العزيز محمود، **مصر في عصري المماليك والعثمانيين (648- 923هـ/923- 1213هـ) (1250-1518/ 1518-1798م)**، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1996، ص 180.

[2] ابن إياس، المصدر السابق، ص ص 145-146.

[3] الإسكندري عمر والحسن سليم، **تاريخ الفتح العثماني للشام إلى قبل الوقت الحاضر**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996، ص 7.

[4] محمود السيد: **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004م، ص 88 -89.

[5] ابن إياس، المصدر السابق، ص 153.

العثماني القاهرة في 28 جانفي1517م[1]، حدثت مواجهة شرسة بين القوتين في الريدانية كان الفوز فيها في البداية من نصيب طومان باي ورجاله، إلا أن تكاثر العثمانيين ورميهم بالرصاص كسر المماليك وبالخصوص من وقعوا بأيدي سليم الأول، إذ يقول ابن اياس أن العثمانيين قاموا بقطع رؤوسهم وأحضروا مراكب و نصبوها فيها مادري في الخشب وعلقوا الرؤوس عليها، وحملت النواتية على أكتافهم و لاقتهم الطبول والزمور وزينوا القاهرة لذلك[2]. انتهت بهزيمة بطومان باي هزيمة قاسية رغم أنه حارب بشجاعة وجرأة.

تعرّض طومان باي للخيانة بعد فراره إلى أحد المشايخ العربان بالبحيرة [3] رغم أنهم أقسموا على أن لا يخونوه إلا أن إدراكهم لخطورة سليم الأول، قاموا بإخبار هذا الأخير بمكان طومان باي ، فعمل السلطان كل ما بوسعه لإلقاء القبض على طومان باي خوفا من إمكانية عودته إلى الحكم حتى تمكن من القبض عليه بعد ذلك[4]، وعند ذلك قال طومان باي:﴿ لولا أن دولتنا زالت وأدبرت ودولتكم جاءت وأقبلت ما قدرت أنت ولا غيرك على أخذ بلادنا﴾.

قامت شائعات في مصر مفادها أن طومان باي فر من السجن وقام بتنظيم جيشه الجديد ليقاتل به العثمانيين الغزاة ، وكثر الحديث عن شجاعة وبسالة طومان باي، ووصلت هذه الشائعات إلى مسامع السلطان سليم الأول[5] الذي قام بإجبار طومان باي على المشي في القاهرة حتى يبرهن للناس أن تلك الإشاعات خاطئة ، وانتهى موكب طومان باي عند باب زويلة أحد الأبواب الرئيسية في مدينة القاهرة المحاطة بالأسوار، وهناك تم شنقه أمام الجميع إلا أن الحبل الذي كان يشنق به إنقطع مرتين[6]، وتورد بعض الكتابات أن السلطان

---

[1] أسامة حسن، **طومان باي آخر سلاطين المماليك**، ط1، دار الأمل، الجيزة، 2000، ص40.

[2] ابن إياس، المصدر السابق، ص 154.

[3] إيناس حسني البهجي, **دولة المماليك البداية و النهاية**، دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية، 2015م، ص 313.

[4] أوليا چلبى ، **الّرحلة إلى مصر والسودان والحبشة**، تق محمد حرب، تر حسين مجيب المصري وآخرون، مج 2، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006، ص 482.

[5] سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،1997، ص92.

[6] يوجين روجان، **العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**، تر : محمد إبراهيم الجندي ، ط1، مؤسسة هنداوي

سليم الأول أراد الإبقاء على حياته لولا إلحاح خاير بك على إعدامه بحجة وجود مؤامرة يقصد بها إنقاذه من الأسر[1].

بموت طومان باي استنقرض دولة الجراكسة وصارت مصر ولاية عثمانية، كما بايع المتوكل آخر الخلفاء العباسيين للسلطان وبعدها نقل إلى إسطنبول محل إقامته (الجبرية) في أحد الحصون بعد تسليم شارات الخلافة للسلطان سليم وهي البردة وبعض شعر لحية الرسول صلى الله عليه وسلم وسيف الخليفة عمر بن الخطاب، واستدل المؤرخون أن تسليم الخليفة العباسي للشارات إنما هي دليل مادي بشأن صحة التنازل عن الخلافة[2].

تمكّن العثمانيون من السيطرة على زمام الأمور في مصر بعد أن أفشلوا مقاومة المماليك وجميع القلاقل والاضطرابات الداخلية هناك، وأمر السلطان سليم الأول بإصدار عفو عام على من بقي من الجراكسة وأبنائهم ورتّب للأيتام والمشايخ والمقعدين مرتبات[3]، وعلى الرغم من ذلك لم تهدأ الإضطرابات بشكل تام إلا على أيام السلطان سليمان القانوني.

استطاع السلطان سليم الأول القضاء على دولة المماليك بقتل آخر ملوكها طومان باي في 13أفريل1517م[4]، الأمر الذي فتح أمامه المجال للتوسّع على حساب شبه الجزيرة العربية وحماية الأماكن الإسلامية المقدّسة في الحجاز والتصدي للبرتغاليين على سواحل هذه المنطقة[5].جاءت هزيمة المماليك في الريدانية نتيجة خيانة جان بردي الغزالي الذي اتصل بشريكه في الخيانة الأمير خاير بك وأعلمه بخطة السلطان طومان باي.[6]

للتعليم و الثقافة ، القاهرة ،2011، ص31.

[1] إبراهيم خليل أحمد، **تاريخ الوطن العربي 1516- 1916**، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1997= = ص39.

[2] جميل بيضون وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1991، ص ص39 – 40.

[3] جميل بيضون وآخرون، المرجع نفسه، ص39.

[4] محمد فريد المحامي ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981،ص 193.

[5] جميل بضون وآخرون، المرجع السابق، ص 39.

[6] ابن إياس، المصدر السابق، ص 166.

5- الحكم العثماني في مصر:

أصبحت مصر ولاية عثمانية تحت حكم باشا أو والي كان يجمع في يده السلطة الحربية العليا والسلطة المدنية ومسؤوليته عن النظام والأمن وجباية الضرائب، وإرسال الخراج السنوي، بالإضافة إلى مسؤوليته عن الإدارة بوجه عام[1].

حدّدت مواد قانون " نامه مصر" المتضمّن في باب أحوال أمير الأمراء إختصاصات وال مصر وسلطاته والذي كان صاحب كل سلطة فيها ويمثل في ذلك السلطان العثماني نفسه[2].

إلى جانب الوالي كان هناك الديوان الذي لم يتم تنظيمه ولا تحديد إختصاصاته إلا بصدور قانون نامه سنة 1525م في عهد السلطان سليمان القانوني (1520- 1566م)، وقضى هذا القانون أن يتشكّل الديوان من آغا كل وجاق (قادة القوات والفرق العسكرية)، والدفتردار والروزنامجي وشاغلي الوظائف الكبرى كالكتخدا أو الأمراء وأمير الحج، وقاضي القضاة وكبار شيوخ السجادة (رؤساء الطرق الصوفية ونقيب الأشراف)[3].

هناك العديد من الأجهزة الإدارية والرقابية الأمنية التي كان لها دور كبير في إستقرار نظام الحكم في مصر، أول هذه الأجهزة المحتسب والجهاز الإداري الذي يخضع له، وكان إختصاص المحتسب الرئيسي هو مراقبة الأسواق والمكاييل والموازين، والأسعار، ثم يأتي بعده الصوباشي المكلّف بحراسة المدينة ويعاقب المخالفين بالضرب والغرامات، كما كان وجاق الإنكشارية يقوم بدور الشرطة في كل الشؤون التي لا تخضع للمحتسب، دون إهمال دور القضاء الذي منحه قانون " نامه مصر" حق محاكمة الكشّاف ومشايخ العرب ومباشري الأموال السلطانية الذين يستغلون مناصبهم ويظلمون الناس لذلك أصبح على جميع موظفي

---

[1] كمال حامد مغيث، **مصر في العهد العثماني 1517 – 1798**، تقديم: رؤوف عباس،ط1، المطبعة التجارية الحديثة القاهرة، 1997، ص97.

[2] كمال حامد مغيث، المرجع السابق، ص 98.

[3] كمال حامد مغيث، المرجع السابق، ص101.

الإدارة في العاصمة والأقاليم الحضور إلى دار المحكمة التي يتبعونها والإقرار أمام قاضيها بأنهم أدوا أعمالهم على أكمل وجه واستوفوا ودائعهم المقرّرة[1].

قام السلطان سليم الأول بتقسيم مصر إلى 24 مديرية وأصدر قرار أثناء إقامته بتعيين يوسف باشا أول وال عليها إلا أنه قبيل رحيله أصدر قرارا ثانيا بعزله وتعيين خاير بك الذي ظل محتفظا بمنصبه حتى وفاته سنة 1522م. وقد أصدر خاير بك بأمر من السلطان قرارا بالعفو الشامل على المماليك وتوزيع الرواتب عليهم وتولي بعضهم مناصب إدارية مهمة لخبرتهم الطويلة ودرايتهم بأحوال البلاد، وكانت وجهة نظر السلطان مبنية على أساس الإستفادة من العصبيات المحلية في بعض الولايات البعيدة مثل مصر وجعلها عنصر موازنة بين الوالي وقائد الحامية العسكرية ومنعا لحدوث إستئثار بالسلطة أو حصرها في يد واحدة قد تجد في بعد مصر عن اسطنبول ما يشجّعها على إعلان الإستقلال عن الدولة العثمانية[2]. وافق السلطان سليم أثناء إقامته بمصر على تعيين أربعين من المماليك وأسند إليهم بعض المناصب الإدارية ودخل بعضهم في عضوية ديوان الباشا[3].

عند فتح العثمانيون مصر كانت الأراضي الزراعية موزّعة بين إقطاع السلطان المتكوّن من مساحات واسعة من أراضي الدولة وإقطاع الأمراء وهي مساحات واسعة أعطيت لأمراء الجند كرواتب نظير خدماتهم للسلطان ومن الحرب، وبعد فتح مصر قام السلطان سليم بمسح شامل للأراضي الزراعية واعتبر نفسه الحاكم الوحيد للأرض كلها وقام بتقدير الضرائب على الأرض على هذا الأساس، وقد أدار العثمانيون أراضي مصر إدارة مباشرة عن طريق بيت المال الذي قسّم أراضي البلاد إلى أمانات أو مقاطعات تضم كل واحدة منها قرى متجاورة وتشكّل وحدة مالية يتولى مسؤوليتها مفتش أو أمين مقابل راتب معلوم يتقاضاه من بيت المال ويعد مسؤولا عن زراعة أرض المقاطعة الموكل إليه أمرها ويتولى تحديد ما

---

[1] كمال حامد مغيث، المرجع السابق، ص103.

[2] إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص ص 39- 40.

[3] المرجع نفسه، ص40.

يخص الأرض من الخراج ويدوّن ذلك في سجل معيّن من بيت المال، حتى لا يفرض الأمين الضرائب على الفلاحين وفق هواه[1].

ألغى والي مصر مقصود باشا (1657- 1660م) سنة 1658م نظام الأمانات وعوّضه بنظام الإلتزام حيث تنقطع صلة الدولة بالقرى التي تدخل في إطار هذا الإلتزام، ويصبح الملتزم نائبا عن الروزنامة في إدارة أمور زراعة تلك القرى وجباية أموالها[2].

على الرغم من أهمية الزراعة للسكان والفلاحين أو بالنسبة للدولة بإعتبارها مصدرا رئيسيا للدخل فإنها لم تلق التشجيع من الحكومة أو المماليك الذين تولوا زمام الأمور لفترات طويلة خلال العهد العثماني حيث كانت الأرض الزراعية تئن تحت وطأة كل أنواع الضرائب، فالحكام كانوا واثقين أنهم سيحصلون عن طريق القوة على كل ما يريدون فقليلا ما كانوا يقلقون على أنفسهم بتحسين حالة الأرض[3].

أما ما يرتبط بالحرف فقد عمل السلطان سليم الأول بنقل عدد هام من الحرفيين إلى اسطنبول مما أثر على الصناعة والحرف حيث أبطل نحو 50 صنعة وتعطّل منها أصحابها. لكن مع مجيء السلطان سليمان القانوني أصدر فرمانا بعودة الحرفيين وأمر بشنق كل مصري يرفض العودة إلى مصر[4]

[1] كمال حامد مغيث، المرجع السابق، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

[3] كمال حامد مغيث، المرجع السابق، ص31.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

الحكم العثماني للحجاز واليمن

بعد تمكن العثمانيين من القضاء على حكم المماليك و بسط نفوذهم على بلاد الشام ومصر أصبحت مصر تابعة للدولة العثمانية، ورثت هذه الأخيرة مسؤولية حماية الأماكن المقدّسة من المماليك كما ستعلن اليمن في البداية تبعيتها سلميا للحكم العثماني .

1- بلاد الحجاز:

أ- إنضمام الحجاز إلى السلطة العثمانية:

بعد استقرار السلطان سليم الأول بمصر بادر شريف مكة أبو بركات زين الدين (1497- 1525م)[1] بإرسال إبنه أبو نمي (البالغ من العمر ثلاثة عشر سنة)[2] إلى مصر حاملا التهاني والهدايا من والده إلى السلطان وكذا مفاتيح الحرمين الشريفين كدليل على إعترافه بالسيادة العثمانية والسلطان حاميا للحرمين، وكان شريف مكة يدرك تبعات امتناعه عن التبعية للدولة العثمانية، سيثير حافظة السلطان سليم الأول مع وجود حامية عسكرية مملوكية في جدة[3].

أكرم السلطان شريف مكة وأحسن إليه وأعلن الإحتفاظ بالنظام كما كان قائما أيام المماليك وأن يكون الحكم لإبنه من بعده، واحتفظ بالإستقلال الذاتي للحجاز واعترف بالحقوق الموروثة للأشراف، فأصبحت الحجاز منذ تاريخ 6 جويلية 1517م ولاية عثمانية.

---

[1] **الشريف أبو بركات:** هو محمد أبي البركات الهاشمي تولي منصب أمير مكة المكرمة عام 1497م إلى غاية 1525م
للمزيد ينظر: أوزوتونا يلماز، **المدخل إلى التاريخ التّركي**، ترجمة: أرشد الهرمزي، ط1، الّدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005، ص233، إبراهيم حليم ، **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)** ، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،1988،ص84.

[2] عيسى الحسن، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط1، الاهلية، بيروت، 2008، ص404.

[3] طقوش، **تاريخ العثمانيين**، المرجع السابق، ص 175.

ساعد هذا التفويض الشريف بركات في تقوية مركزه أمام خصومه في الشرافة، كما احتفظ العثمانيون بنظام الشرافة كما كان عليه أيام المماليك مع إنشاء متصرفية في جدة بإسم متصرفية الجيش[1].

منذ سنة 1517م بدأ مبعوثوه يزورون مكة كل سنة ويغدقون الأموال والهدايا على الناس، كما أوقفت الدولة أوقافا كثيرة على الأماكن المقدّسة، وكانت إيراداتها تصبّ في خزانة مستقلة بالقصر السلطاني تعرف ب"حرمين دولابي" [2].

ب- الحكم العثماني في بلاد الحجاز:

اكتفى العثمانيون بحراسة الشواطئ البحرية وحماية طرق الحج، ومن جهتهم دعم الأشراف النفوذ العثماني الذي استفاد كثيرا من هذا التحالف الذي يخدم مصالح الدولة العثمانية.

استبقى العثمانيون في بلاد الحجاز على نظام الشرافة والذي بمقتضاه يتولى أحد الأشراف الذين ينتمون إلى آل الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ويلقّب بشريف مكة، وكان السلاطين العثمانيون لا يتوانون في إقرار الشريف على إمارته وإرسال الخلع والهدايا له وترتيب رواتب كبيرة للكثير منهم[3].

تمتّعت بلاد الحجاز بفضل نظام الشرافة بإستقلال ذاتي خلال العهد العثماني الأول، وصار الأشراف يعتمدون في عيشهم على القاهرة، حيث كانت الدولة العثمانية ترسل إليهم كل سنة مقدارا محدّدا من المال قررّته واعتبرته من ملتزمات مصر السنوية، واستمرت مصر

---

[1] إبراهيم خليل أحمد، المرجع السابق، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص40.

[3] عمر سالم بابكور، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1407هـ/1986م، ص161.

العثمانية في إرسال المبالغ المقرّرة والأموال والغلال الموقوفة على الحرمين الشريفين وأهل مكة والمدينة المنوّرة بإنتظام[1].

لبلاد الحجاز أهميتها الدينية والإستراتيجية للدولة العثمانية بفضل وجود الأماكن المقدّسة الذي ستمنح الدولة العثمانية الزعامة على العالم الإسلامي، لما للحجاز من مكانة خاصة في نفوس المسلمين ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الحجاز محط آمال السلطان سليم الأول مدركا تمام الإدراك أن ضمه البلاد المذكورة ستقوي مكانته في العالم الإسلامي خاصة بعد أن أصبحت بلاد الشام ومصر تحت حكمه، وموقعها المطل على البحر الأحمر[2]، وهو ما سيساعد على دفع الخطر البرتغالي عن الحجاز والبحر الأحمر والذي استمر إلى غاية نهاية القرن18م[3]، فضلا عن الفائدة الإقتصادية والسياسية من خلال التدفق المستمر للحجاج من كافة أصقاع العالم.

سيتيح هذا الموقع للعثمانيين فرصة التصدي للخطر البرتغالي في هذه المنطقة، خاصة بعد إعلان إسكندر الحاكم المملوكي في اليمن ولائه للسلطان سليم الأول، فالحجاز بسبب الحماية التي توفّرها لها مصر والعون الذي تمدها به، ممثلا في الأموال والغلال التي ترسلها لفقراء مكة والمدينة والمرتبات والهدايا للأشراف كان يتبع مصر تبعية تلقائية، بمعنى أنه لم يكن يرتبط بدولة معينة في مصر، بل كان يرتبط بمصر ذاتها بصرف النظر عن الحكومة أو الدولة القائمة فيها.

تمتّعت بلاد الحجاز منذ عهد السلطان سليم الأول بالإعفاء الضريبي، كما زادت الإعتمادات المالية المخصّصة للحجاز، واهتم السلطان ببلاد الحجاز اهتماما كبيرا من خلال

---

[1] عمر سالم بابكور، المرجع نفسه، ص163.

[2] علي محمّد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار الإسلامية، بورسعيد، 2001، ص191.

[3] جميل بيضون وآخرون، المرجع السابق، ص41.

إقرار حب الصدقة لفقراء مكة، ووصلت بالفعل إلى جدة في العام الأول التالي لضم بلاد الحجاز مراكب قادمة من السويس تحمل سبعة آلاف إردب قمح وزّعت على فقراء مكة[1].

2- اليمن:

مع بداية القرن 16 م كان اليمن يعيش تفكّكا وإنقساما بوجود كيانات سياسية مستقلة متناحرة متصارعة فيما بينها، وكانت الدولة الطاهرية السنّية هي أقوى الكيانات السياسية في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكانت عاصمتها زبيد تمثّل مركزا دينيا وثقافيا رئيسيا للبلاد استطاعت فرض سيادتها على المناطق الزراعية وأكثر المدن إزدهارا في اليمن بما فيها تعز وصنعاء وعدن، وقد ارتكز الطاهريون على رجال الدين شافعيي المذهب[2]. كانت الزيدية والإسماعيلية المسيطرتان على المناطق الجبلية شمال اليمن ووسطه تشكّلان منافسا قويا للعثمانيين.

تعرّضت اليمن إلى التحرشات البرتغالية في أواخر حكم المماليك، وعند إنهيار الحكم المملوكي في مصر أرسل حاكم اليمن إسكندر الجركسي وفدا من مماليك اليمن محمّلا بالهدايا إلى السلطان سليم الأول يقدّم مراسيم الولاء والطاعة للسلطان العثماني، فحمّل السلطان الوفد فرمانا سلطانيا مع خلعة وسيف إلى القائد اسكندر يقضي بتعيينه واليا على اليمن[3]، ودخلت اليمن سلميا في يد السلطة العثمانية بعد تثبيت إسكندر الجركسي في منصبه وجعل الخطبة والسكة للسلطان العثماني فأصبحت اليمن ولاية عثمانية سنة 1518م.

---

[1] عمر سالم بابكور، المرجع السابق، ص161.

[2] محمد كريم إبراهيم، " **الحملة العثمانية على عدن سنة 945هـ/1538م أسبابها ونتائجها**"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد4، عدد 2، ص391.

[3] محسن محمد عايض علي الدربي، **الوجود العثماني في اليمن (1538- 1635)**، رسالة ماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 2009- 2021، ص45.

ورث العثمانيون تركة مملوكية في اليمن مثقلة بالهموم، فالبرتغاليون في البحر الأحمر يستنزفون خيراته ومتفوّقون عسكريا، وتمكّنوا من تحويل الطريق التجاري إلى رأس الرجاء الصالح، فتعرّضت المنطقة إلى ضعف شديد خاصة المماليك الذين لم يتمكنوا من مقاومة العثمانيين.

السيطرة على اليمن ليست بالأمر الهيّن على الدولة العثمانية في ظل الظروف المتوتّرة التي تعرفها المنطقة والتي أضعفت نفوذ الدولة العثمانية وجعلها إسمية فقط، لذلك إضطر السلطان سليمان القانوني إلى زيادة نفوذه في المنطقة من خلال بناء أسطول بحري قوي لمواجهة الخطر البرتغالي، وإرسال حملة لليمن لبسط السيطرة عليها، لذلك أمر والي مصر ببناء الأسطول[1].

كانت الخطة العثمانية تتضمّن توجّه الأسطول العثماني من ميناء السويس نحو ميناء جدة ومنه إلى موانئ اليمن على البحر الأحمر ومنها عدن، ومن هناك إلى البحر العربي فالمحيط الهندي لطرد البرتغاليين وتحطيم أسطولهم وتدمير سفنهم الراسية في الموانئ العربية أو الموانئ الهندية وفرض السيطرة والسيادة العثمانية على المنطقة[2].

عهد بقيادة الحملة إلى سليمان باشا الخادم (الأرناؤوطي)، والتي ستنطلق سنة 1538م من السويس ووصلت إلى تهامة وزبيد ثم عدن التي كانت تحت حكم أحد الطاهريين[3] (عامر بن داوود الطاهري) الذي أعلن ولائه للسلطان العثماني، غير أن قائد الحملة ما لبث أن تخلّص منه ومن بقايا الطاهريين في عدن، كما سبق له أن تخلّص من

---

[1] محمد كريم إبراهيم، المرجع السابق، ص397.

[2] المرجع نفسه، ص397.

[3] **الطاهريين:** امتد حكمهم بين 858- 945هـ/ 1454- 1538م، يرجع نسبهم إلى بني أمية من قريش، وقد كانت لهم مكانة مرموقة، لعبوا دورا كبيرا في التصدي لأطماع الأئمة الزيديين في السيطرة على مناطق الدولة الرسولية حتى تمكنوا من السيطرة على عدن سنة 1454م، ثم بدأوا في تثبيت حكمهم وتوسيع مناطق نفوذهم، للمزيد ينظر: إسماعيل مصلح أبو سويد الحجاجي، **الدولة الطاهرية**، ج1، ط2، مركز ومكتبة الواحة،2019، ص11، عاشور عبود سالم فييح، **الحياة العلمية في عهد الدولة الطاهرية**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة عدن، 1424هـ/ 2003م، ص26.

المماليك في زبيد، ولم يبق أمام الحملة سوى التخلّص من الزيديين الذين اتخذوا من تعز مركزا لهم، لكن سليمان الخادم عجز عن القضاء عليهم فعاد إلى مصر مكتفيا بما أحرزه من نفوذ على زبيد وتهامة وعدن، وإخضاع السواحل اليمنية للسيطرة العثمانية[1].

لجأ العثمانيون إلى إعتماد أسلوبين في التوسّع داخل اليمن ركّزوا في الأسلوب الأول قواتهم على المناطق الجنوبية من البحر الأحمر لأنه يسهّل عليهم التحوّل داخليا وساحليا، والأسلوب الثاني يوجّه ضد البرتغاليين وإقامة صلح ولو مؤقت مع الزيديين الذين لا يرغبون في مواجهة العثمانيين[2].

أ- الحكم العثماني في اليمن:

عرفت فترة حكم الوالي مصطفى النشار(1541- 1546م) هدوءا نسبيا لإستخدامه القوة ثم عيّن في سنة 1546م أويس باشا(1546- 1547) الذي ستعرف فترة حكمه صراعات في الأسرة الزيدية والتي حاول أويس باشا الإستفادة منها ومن إنشقاق الأسرة الزيدية على نفسها، فتقدّم إلى تعز ولم يكد يتقدّم بقواته نحو صنعاء حتى أغتيل على يد أحد رجاله سنة 1547م فتولى أزدمير باشا(1547- 1555) قيادة الجيش وتمكّن من ضبط الشعب الذي خلفه مقتل أويس باشا، وحتى يكون في مأمن أرسل وفدا إلى السلطان بالوقائع التي أدت إلى مقتل أويس باشا، فأرسل له السلطان فرمان التولية ليواصل بعدها زحفه إلى صنعاء سنة 1547م وأصبح بعده النفوذ العثماني يمتد إلى الشمال أين سيواجه صعوبات طبيعية وهجمات الزيديين بالإضافة إلى إنقسام أهل صنعاء بين مؤيد للزيديين ومؤيد للعثمانيين وطلب أزدمير باشا العون من السلطان سليمان الذي مدّه بقوة لمواجهة الزيديين، إلا أنه وجد صعوبة في السيطرة على الوضع فصدر فرمان عزله سنة 1555م وعاد سليمان باشا الخادم مرة أخرى كحاكم على اليمن، وعلى الرغم من ذلك فإن اليمن لم يحقّق الوحدة السياسية إلا

---

[1] أحمد زكريا الشلق، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516- 1916**، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002، ص36.

[2] محمد كريم إبراهيم، المرجع السابق، ص 55,

في عهد أزدمير باشا التي فرضها بإستخدام القوة واستطاع إنقاذ اليمن من الصراعات السياسية والمذهبية[1].

ستتمكّن الإمامة الزيدية من بسط سيادتها على أغلب مناطق اليمن وعدن حيث إستطاع الإمام مطهر(1503- 1572) أن يحشد جيشا دخل به صنعاء سنة 1567م، فتحرّكت الدولة العثمانية لإستعادة الحكم في اليمن بإرسال حملة بقيادة سنان باشا والي مصر سنة 1569م، ونزلت الحملة من ينبع برا إلى عسير، لتثبت السيطرة العثمانية فيها ثم تقدّمت إلى تعز التي كان الزيديون قد حاصروا القواعد العثمانية فيها وما لبثت القوات الزيدية أن فرت من قوات سنان باشا وتقدّمت الحملة إلى عدن التي سيطرت عليها بعد حصار قصير، ثم إتجهت الحملة إلى صنعاء ونجحت في دخولها وانحصر نفوذ الزيديين في المناطق الجبلية التي عجز العثمانيون عن الوصول إليها فاضطروا إلى عقد الصلح سنة 1570م على أساس الإعتراف بالإمامة الزيدية مقابل الإعتراف بالسيادة العثمانية، وقبل الإمام مطهر ذلك بان تكون الخطبة والسكة للسلطان العثماني وبوجود حامية عثمانية رمزية في صعدة كمركز للسيادة العثمانية على اليمن[2].

ب- عوامل عدم إستقرار الحكم العثماني في اليمن:

1- الطبيعة الجبلية الوعرة لليمن.

2- تزايد قوة الإمامة الزيدية لتي تصدّت للوجود العثماني.

3- تزايد قوة الإمامة الزيدية التي كانت تهدّد الوجود العثماني باستمرار.

4- تدهور أوضاع السلطة العثمانية وإنشغالها بتثبيت سلطتها في الأناضول وصراعها مع الصفويين.

5- عدم إمتلاك الولاة العثمانيين في اليمن للخبرة والكفاية.

---

[1] محمد كريم إبراهيم، المرجع السابق، ص 59.

[2] أحمد زكريا الشلق، المرجع السابق، ص 37.

التدخل العثماني لحماية سواحل الجزيرة العربية

بفضل حركة الكشوفات الجغرافية وصل البرتغاليون إلى الخليج العربي واستطاعوا بسط نفوذهم على موانئ الخليج العربي وجزره وبنوا قلاعا وحصونا دفاعية [1]، كما عملوا على الحد من النشاط العربي من المحيط الهندي وتحويلها عن الطريق التقليدي إلى رأس الرجاء الصالح إلى لشبونة، وبالتالي يصبح لهم دور الوساطة التجارية بين الشرق والغرب بدلا من المماليك وإغراق أوربا بالسلع والمنتجات الشرقية بأسعار منخفضة.

1- الإحتلال البرتغالي لسواحل الجزيرة العربية:

نظّمت معاهدة توردسيلاس(Tordesilhas)[2] سنة 1494م مناطق النفوذ بين الإسبان والبرتغاليين والتي بدأت معها حركة التوسع البرتغالي في الخليج العربي خاصة بعد أن تمكنوا من تثبيت أقدامهم على سواحل الهند سنة 1505م، وأسّسوا بها حكومة يرأسها نائب الملك[3].

أرسل ملك البرتغال حملة بحرية سنة 1506م بقيادة تريستيان دي كونها(Tristan da Cunha) يرافقه ألفونسو دي البوكيرك (Afonso de Albuquerque)(1453- 1515م) لحرق سفن المسلمين، كما إحتلوا قلعة جزيرة سوقطرة ثم أبحر تريستيان إلى الهند بعد أن ترك الأسطول البرتغالي بقيادة البوكيرك لفرض الحصار على مدخل البحر الأحمر بإحتلال

---

[1] عبد الأمير محمد أمين، **دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، د.ط، دار الحياة للنشر والتوزيع، بغداد، 1972، ص78.

[2] **معاهدة توردسيلاس:**معاهدة بين إسبانيا والبرتغال تم بموجبها تقسيم الشمال الإفريقي إلى قسمين الأول يقع شرق حجر باديس ويتولاه الإسبان، والثاني غرب هذه المنطقة وقد تركت للبرتغال، ينظر: سمير عبد الرسول العبيدي، الحملات الإسبانية على الموانئ الجزائرية (1505- 1512م)، مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، الجامعة المستنصرية، 2019، ص141.

[3] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، **محاضرات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، ط1، مكتبة الملك فهد، جدة، 1431هـ، ص16.

عدن، لكنه فشل لمقاومة سكانها مما دفعه للتوجه إلى مدخل الخليج العربي فوصل إلى جزيرة مصيرة ثم أبحر إلى رأس الحد[1].

واجه البوكيرك مقاومة كبيرة وتفاجأ بأهمية مضيق هرمز التجارية والإستراتيجية وكانت هرمز تسيطر على معظم سواحل الخليج العربي لذلك قاد حملة إرهاب وحرق وتخريب ضد السواحل العربية الجنوبية الشرقية حيث دخل قريات عنوة وقام بنهبها وإشعال النار فيها ثم أبحر إلى مسقط وعندما وصلها أرسل حاكمها وفدا للتفاوض لكن البوكيرك قصف المدينة بالمدافع ثم أحرقها ثم اتجه إلى صحار التي عقد مع سكانها معاهدة أصبحوا بموجبها تابعين لملك البرتغال[2].

أصبحت بذلك كل من مسقط وقلهات وصحار وقريات، محطات برتغالية لحماية هرمز والدفاع عن تجارتها وبقي نظام الحكم المحلي في هرمز تحت الحماية البرتغالية، لكن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي مما أثر على إزدهار هرمز وعمرانها السابق للإحتلال البرتغالي[3].

بعد سيطرة البوكيرك على هرمز قام ببناء حصن النصر وهو الأول في سلسلة كبيرة من القلاع والحصون العسكرية التي شيّدها الإستعمار البرتغالي، ومن ذلك الحصن سوف ترتكز سيطرة البرتغاليين على الخليج العربي طيلة فترة إستعمارهم التي استمرت ما يقارب قرن من الزمن، وأصدر البوكيرك أوامره بأن يتم بيع السلع البرتغالية بأسعار رخيصة بهدف كسب الأسواق التجارية لصالح البرتغال[4].

---

[1] محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، ط2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية مصر، 1998، ص20.

[2] عبد العزيز عوض، **دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث**،ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد العلمية، الأردن، 1991، ص19.

[3] عبد العزيز عوض، المرجع نفسه، ص20.

[4] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، المرجع السابق، ص21.

سيضطر البرتغاليون في مطلع سنة 1508م إلى الإنسحاب من منطقة الخليج العربي نتيجة تمرّد بعض قادتهم ضد البوكيرك ومحاولتهم الإطاحة به مما اضطره إلى العودة إلى الهند بناءا على تعليمات أتته من فرانشيسكو دالميدا(Francisco de Almeida)(1505-1509م) أول حاكم ونائب للملك في الهند[1]، وبعد حوالي أربع سنوات في سنة 1512م جاءت حملة إلى مياه الخليج بقيادة دييغو فرناندیز بهدف جمع الضرائب المفروضة في الحملة الأولى إلا أنها لم تمكث طويلا[2]، وفي سنة 1515م سيقود البوكيرك حملة جديدة تمكّن من خلالها من إخضاع هرمز، وأصبحت الموانئ التابعة لها على الساحل العماني مثل قلهات ومسقط وصحار وغيرها محطات للوكلاء والتجار البرتغاليين الذين عيّنوا من قبل حاكم هرمز البرتغالي وقدّمت لهم السلطات البرتغالية الحماية الكافية بواسطة الزيارات الدورية التي كانت تقوم بها السفن البرتغالية في طريقها من الهند إلى الخليج العربي حيث كانت تمر بهذه الموانئ أثناء سيرها إلى هرمز والبحرين[3].

تمكّن البرتغاليون من إحتلال البحرين في نفس السنة وأقاموا بها قلعة وأخذوا الجزية من سكانها، إلا أن ذلك لم يستمر طويلا لأن البحرين ستتحرّر من الإستعمار البرتغالي والإنفصال عن مملكة هرمز بعدما قضت على الحامية البرتغالية فيها، كما فشلت محاولات البرتغال في إستعادة البحرين ومما زاد في إنتشار الثورات والإضطرابات ضد الإحتلال البرتغالي في الخليج العربي تدخلهم في الخلافات الداخلية وإشعال الفتن ومساعدة بعضهم ضد الآخر لخدمة المصالح البرتغالية[4].

رغم محاولات البرتغاليين إسترجاع السيطرة على البحرين إلا أن قوة أسرة الجبور مكّنتهم من مقاومة الإحتلال البرتغالي، وهو ما جعل البرتغاليين يعمدون إلى مساندة ملوك

---

[1] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، المرجع نفسه، ص18.

[2] المرجع نفسه ، ص19.

[3] عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص21.

[4] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص25.

هرمز للتخلص من نفوذ الجبور الذي وصل إلى درجة كبيرة من القوة والإتساع، وعندما فشلوا قاموا بعدة حملات أدت فيما بعد إلى إنهاء حكم الجبور على البحرين وإخضاعها للإستعمار البرتغالي المباشر[1].

سادت المنطقة حالة من الإضطراب والتوتر والثورات للوقوف في وجه الإستعمار البرتغالي، منها تلك التي قامت في عمان خلال سنوات 1519م- 1521م- 1522م و 1526م، هذه الأخيرة التي استمرت لعام كامل وقد فرضت تلك الثورات على البرتغاليين تدعيم نفوذهم بإنشاء قلعتين سنة 1587م هما قلعة القديس جوا (الجلالي)، وقلعة القبطان الميراني[2].

2- الصراع العثماني البرتغالي على سواحل الجزيرة العربية:

بعد ضم السلطان سليمان القانوني بغداد سنة 1534م قدمت عليه الوفود من شيوخ القبائل العربية من البصرة والأحساء والبحرين لإعلان الولاء والطاعة للحكم العثماني ومنح العثمانيون الرئيس مراد حاكم البحرين لقب سنجق بك.

ضمت ولاية الأحساء وفقا للتقسيمات الإدارية العثمانية القطيف، المبرز، جبرين، قوبان، التهامية وعيون والبحرين في بعض الأحيان[3].

كانت الأحساء تتبع ولاة بغداد ويرسل شيوخها إليهم الهدايا ويشاورونهم في المسائل المهمة، واستمر الحكم العثماني في الأحساء بمساعدة قبائل المنتفق العربية، ولم تكن لولاة الأحساء صلاحيات واسعة فيها، وعندما حدثت الفتنة بين حسين باشا آفراسياب وعميه أحمد آغا وفريد بك وقف والي الأحساء العثماني إلى جانبهما وقدّم لهما المساعدة ولذلك إنتقم حسين باشامنه بإستمالة القبائل العربية في شرق الجزيرة وفي مقدمتها قبيلة بني خالد أقوى

---

[1] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص26.

[2] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، المرجع السابق، ص 23.

[3] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، المرجع نفسه، ص25.

القبائل العربية في شرق الجزيرة خلال القرن17م وزعيمها آنذاك براك بن غرير آل حميد الخالدي(1669-1682م) ونجح حسين باشا آفراسياب في الإستيلاء على الأحساء بمساعدة براك بن غرير[1].

وجود الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي أثار مخاوف البرتغاليين الذين عملوا على مواجهتهم والتصدي لحملاتهم، وفي سنة 1552م صدرت أوامر لحاكم البصرة بتوجيه تعليمات إلى بيري بيك بالتوجه إلى البصرة للإستعانة بالقوات الموجودة هناك للقيام بهجوم على هرمز والبحرين[2]، إلا أن بيري بيك غره الإنتصار الذي حققّه في مسقط وإتجه مباشرة بمهاجمة هرمز دون الأخذ بالتعليمات التي صدرت إليه والتي كانت تنص على عودته إلى البصرة لأخذ المدد فقام بمهاجمة هرمز وفرض عليها حصارا لكن البرتغاليين قاوموه بشدة مما إضطره إلى الإنسحاب والتوجه إلى البصرة بالغنائم التي حصل عليها وهو ما أدى إلى نشوب نزاع بينه وبين حاكم البصرة فخرج بيري من المدينة وكتب حاكم البصرة تقريرا إلى السلطان العثماني عرض فيه الأخطاء التي ارتكبها بيري بيك فتم إستدعاؤه من السلطان العثماني وحكم عليه بالإعدام سنة 1553م.

خلف بيري بيك مراد ريس الذي قام بجهوده للقضاء على الوجود البرتغالي لكنه لم ينجح حتى في إسترجاع السفن العثمانية التي كانت راسية بميناء البصرة إلى السويس[3].

وقعت مواجهات في سنة 1554م بين سيد علي ريس والبرتغاليين بعد أن علم العثمانيون بإتجاه البرتغاليين لإسترجاع مسقط وحقّق فيها العثمانيون إنتصارا مؤقتا لأن البرتغاليين إستعادوا قوتهم وتم تجهيز الأسطول من جديد وتمكّنوا من هزيمة العثمانيين، وبعد فشل علي بك في مهمته قام مصطفى باشا بيلرباي الأحساء سنة 1559م بمحاصرة المنامة فأرسل البرتغاليون سفنهم للتصدي للعثمانيين، وبسبب نقص المؤونة والذخيرة لدى العثمانيين

---

[1] عبد الله بن سراج بن عمر منسي، المرجع نفسه، ص24.

[2] لوريمر، ج، ج، **دليل الخليج**، ج1، 4، قسم الترجمة بمكتبة أمير دولة قطر، الدوحة، ص125.

[3] عبد العزيز عوض، المرجع السابق، ص ص77- 87.

قرّروا إنهاء الصراع وتسليم أسلحتهم للبرتغاليين واكتفى السلطان بإصدار فرمان يمنح حاكم البحرين مراد ريس لقب سنجق بك رغم السيطرة البرتغالية على الجزيرة العربية[1].

سيحاول البرتغاليون عقد هدنة مع العثمانيين من خلال إرسال مبعوثهم إلى الهند سنة 1562م، إلا أن السلطان العثماني أصر على كسر الإحتكار البرتغالي وحماية الطرق البرية والبحرية وضمانها لفائدة الرعايا والتجار التابعين للدولة العثمانية[2].

رغم إنشغال العثمانيين بصراعهم ضد الصفويين الذين حاولوا التقدّم إلى أراضي العثمانيين إلا أن السلطان حدد أوامره سنة 1575م بفتح البحرين وأصدر أمرا إلى حاكم بغداد بإستطلاع الوضع في البحرين إلا أن هذا المشروع فشل بسبب الأعباء المالية التي كان سيخلفها دون التمكن من تحقيق المطلوب[3].

بعد ضم البرتغال إلى إسبانيا في عهد الملك فيليب الثاني(Felipe II)(1556-1598م) حاولت الدولة العثمانية الإستفادة من هذا الوضع بتكليف علي بك بحملة لضم مسقط استطاع تحقيق انتصار مؤقت لغاية وصول الإمدادات السريعة من هرمز أجبرت العثمانيين على الإنسحاب، وهو ماجعل البرتغاليين يعملون على تعزيز قواتهم في مسقط لأهميتها البحرية وهو ماجعل الحكومة الإسبانية التي تشرف على المستعمرات البرتغالية تصدر تعليمات بزيادة التحصينات العسكرية وبناء قلعتين كبيرتين للتصدي لأي خطر[4].

عمل علي بك سنة 1585م على التعاون مع سكان المنطقة وإثارتهم ضد البرتغاليين و قدم لهم ضمانات بقدوم أسطول عثماني. إلا أن هذا الأسطول لم يصل بل جاء أسطول

---

[1] حسان صالح الشهاب، **أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي**، سلسلة كتاب الأبحاث5، د. ط، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص83.

[2] صالح أوربران، **الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي 1543 -1581**، ترجمة وتعليق: عبد الجبار نابي، مطبعة الإرشاد، البصرة، 1979، ص81.

[3] صالح أوربران، المرجع السابق، ص 83.

[4] دونالد هولي، **عمان ونهضتها الحديثة**، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلابي، د.ط، مؤسسة ستايس، لندن، د.ت، ص ص 31- 32.

برتغالي تمكن من قمع الثورات والقبض على علي بك الذي أرسل إلى لشبونة أين توفي هناك[1].

لم يكرّر العثمانيون محاولاتهم إلا أنها ستغير سياستها ضد البرتغاليين، حيث استنجد الصفويون بالإنجليز للقضاء على الوجود البرتغالي في هرمز سنة 1622م عندما استولى الشاه عباس الكبير(1588- 1629م) على بغداد سنة 1621م[2]، وقد استعان حاكم البصرة بالبرتغاليين خوفا من وصول الصفويين إليه كما استغل العثمانيون الظروف الداخلية و الخارجية التي مرت بها البرتغال لمواجهته والتصدي له و من جهة أخرى ساهم سقوط دولة النباهنة في عمان، وقيام دولة اليعاربة كان يعني الإطاحة بالبرتغاليين في الخليج العربي و التخلص من النفوذ البرتغالي نهائيا على يد عرب الخليج.

انصرفت جهود مؤسس دولة اليعاربة الإمام ناصر بن مرشد (1624-1649) إلى توحيد القبائل العربية وتوطيد الأمن وتثبيت الإستقرار في عمان و الساحل وبعد أن نجح في تحقيق ذلك أخذ يشن سلسلة هجمات ضد البرتغاليين. وتمكنت القوات العثمانية من تحرير رأس الخيمة من الاحتلال الصفوي و البرتغالي كما استطاعت تحرير خورفكان و طرد الحامية البرتغالية منها وجاءت الضربة القوية التي اطاحت بالبرتغاليين في الخليج العربي سنة 1648 و استطاع الإمام ناصر بن مرشد فرض شروطه على البرتغاليي[3]ن، وأرغم البرتغاليون على الانسحاب من قلعتي الميراني و الجلالي و الاستسلام سنة 1650م. ثم تحرير مسقط وبذلك خسر البرتغاليون آخر قلعة حصنية لهم في الخليج العربي[4].

---

[1] نيكولاي إيفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية**، دار المعارف للنشر، القاهرة، ص23.

[2] مصطفى عقيل الخطيب، **الخليج العربي، دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي**، وزارة الثقافة والفنون والتراث قطر، ط1، قطر، 2013، ص298.

[3] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص30.

[4] محمد حسن العيدروس، المرجع نفسه، ص31.

جعل البرتغاليون من مضيق هرمز مركزا للتوسع في الجزيرة العربية حيث حاولوا إحتلال القطيف لكن ولائها للعثمانيين منع ذلك حيث أرسلوا لها أربع باشوات حكموها قبل انتزاع بني خالد لها منهم وبعد صراع دام أكثر من 80 سنة انتزع الخوالد الأحساء من الدولة العثمانية سنة 1670، ثم أعلن بنو خالد تبعيتهم إسميا للدولة العثمانية التي أصبحت تعتبر الأحساء وما جاورها ولاية عثمانية وبذلك أصبح الخليج العربي وشرق شبه الجزيرة العربية تحت حكم بني خالد في ظل سيادة إسمية للعثمانيين بدون وجود عسكري وسياسي حقيقي للدولة العثمانية.

في عمان قامت دولة اليعاربة سنة 1624 التي وقفت ضد النفوذ البرتغالي واستطاع ناصر بن مرشد وخليفته سلطان بن سيف تحرير الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية.

لم يصطدم العمانيون بالعثمانيين لبعدهم الجغرافي عنهم وكانت علاقة إحترام وهدنة بين السلطتين العمانية والعثمانية.

الوجود العثماني في السودان وشرق إفريقيا

(تأسيس ولاية الحبشة)

سعى البرتغاليون إلى تكوين جبهة صليبية مع دولة الحبش النصرانية لضرب النفوذ الإقتصادي الإسلامي في البحر الأحمر والمحيط الهندي، إلا أن التواجد العثماني مكّن من رفع الحصار عن التجارة في البحر الأحمر والخليج العربي بفضل جهودهم في التصدي للبرتغاليين.

1- التوجه العثماني إلى البحر الأحمر: بعد سيطرة العثمانيين على مصر والحجاز اتجهت أهدافهم إلى السيطرة على البحر ومواجهة النفوذ البرتغالي الذي عجزوا عن القضاء عليه رغم منعهم توسّعه في الجزيرة العربية إلى الأماكن المقدّسة.

سعى البرتغاليون إلى السيطرة على الطرق التجارية الإسلامية خاصة بعد وصولهم إلى شرق إفريقيا وإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، كما أن ضعف المماليك في حماية البحر الأحمر والأماكن المقدّسة فتح المجال أمام الدولة العثمانية التي ستحمل على عاتقها حماية العالم العربي الإسلامي من الخطر الأوربي.

يعتبر البحر الأحمر بحرا إستراتيجيا بالنسبة للدولة العثمانية لأهميته كطريق للملاحة إلى الهند والشرق الأقصى، كما أنه الطريق المؤدي إلى الأماكن المقدّسة في الحجاز، تفتح فيه المؤانئ الإفريقية كعيذاب وسواكن ومصوّع وزيلع[1]، وكان محل أطماع فرنسا وبريطانيا والبرتغال.

[1] عوض عبد الهادي العطا،" **العثمانيون في البحر الأحمر**"، مجلة دراسات إفريقية، كلية الآداب، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث و الدراسات الإفريقية، السودان، مجلد 2007، عدد37، ص2.

مع بداية القرن 16م أصبح البرتغاليون يشكّلون خطرا كبيرا يهدّد الأماكن المقدّسة بسبب توجيه ضربات ضد التجار العرب في المحيط الهندي والبحر الأحمر[1]، وهو ما جعل حكام كلكتا وكجرات الهندية يطلبون مساعدة السلطان المملوكي والتعاون معه مقابل دفع الجزية، لكن السلطان المملوكي لم يكن قادرا على ذلك لوحده لذلك طلب دعم العثمانيين الذين امدوه بمساعدات في عهد السلطان بايزيد الثاني (1481- 1512م) للتصدي للخطر البرتغالي الذي هدّد سواحل الهند[2]، فأرسل هذا الأخير مبعوثا إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري (1501-1516م) ثم باخرة للتصدّي لإعتداءات البرتغاليين على البحر الأحمر والخليج العربي سنة 1506م، كما أرسل سنة 1507م البحّار كمال ريس لإيصال المساعدات العسكرية التي طلبها السلطان المملوكي وبدأت في الإستعدادات تحت إشراف كمال ريس وخرج الأسطول لمواجهة الأسطول البرتغالي فسيطر على سواكن ووضع حامية خاصة به، فأصبح الساحل الغربي للبحر الأحمر من سواكن إلى الجنوب تحت الحكم المملوكي المباشر، لكن هزيمة المماليك أمام البرتغاليين في معركة ديو[3] سنة 1509م فتحت المجال للبرتغاليين للتوسع خاصة عندما سعى ملك الحبش إلى الحصول على دعمهم ضد المسلمين في سواحل شرق إفريقيا ضد مسلمي زيلع[4].

تمكّن البرتغاليون من دخول البحر الأحمر وحاولوا إحتلال جدة مرتين الأولى سنة 1517م، والثانية سنة 1520م لكنهم لم ينجحوا في السيطرة عليها، فقرّر السلطان سليم الأول إتخاذ اليمن قاعدة حربية للدفاع عن البحر الأحمر ومنع السفن البرتغالية من دخوله وعمّمت هذا على جميع السفن الغير إسلامية[5] التي تمر من ميناء مخا في اليمن وأصبحت

---

[1] عوض عبد الهادي العطا، المرجع السابق، ص2.

[2] نسيبة عبد العزيز عبد الله، "**الموقف العثماني من التحالف الحبشي البرتغالي (1508- 1555م)**"، مجلة العلوم الإجتماعية، مجلد 6، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2019، ص607.

[3] **معركة ديو**: معركة بحرية وقعت في فيفري 1509م بين البرتغاليين وجيش الأمير حسين الكردي الذي انهزم في هذه المعركة، وديو مدينة صغيرة في شبه جزيرة كاليوار جنوب الهند للمزيد ينظر: نسيبة عبد العزيز، المرجع السابق، ص 607.

[4] نسيبة عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 607- 608.

[5] عبد العزيز الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص 5.185

السفن الأجنبية تفرغ حمولتها في هذا الميناء ويعاد شحنها في سفن إسلامية تبحر بها إلى جدة أو ينبع أو السويس، وبهذا أغلقت البحر الأحمر في وجه الزحف الأوربي الذي حاول التسلّل من باب المندب إلى المناطق الإسلامية التي تشرف على البحر الأحمر[1].

مع بدايات القرن 16م استطاع العثمانيون السيطرة على مصوّع وسواكن وحرقيقو وغيرها من الموانئ المهمة كجدة وعيّنوا واليا على الحجاز وحاميات في تلك الموانئ، وبذلك تمكّنوا من السيطرة على البحر الأحمر.

خلال عهد السلطان سليمان القانوني زاد إهتمام العثمانيين بالبحر الأحمر من خلال بناء أسطول قوي وتكليف والي مصر سليمان باشا الخادم بحماية الأماكن المقدّسة فاستطاع دخول جدة ثم قمران ثم سيطر على عدن وعيّن عليها أحد ضباطه وزوّدها بحامية وواصل السير إلى ديو التي لم يتمكّن من السيطرة عليها وهو ما جعل الأحباش والبرتغاليون يعيدون تنسيق جهودهم بإرسال حملة إلى مصوّع سنة 1524م لكنها فشلت فأعادت الكرة سنة 1526م أين نجحت في السيطرة عليها[2].

2- تأسيس إيالة الحبشة:

بعد السيطرة البرتغالية على زيلع استنجد الإمام أحمد حاكم زيلع بالعثمانيين، فقرّر السلطان سليمان التدخل من خلال تأسيس إيالة الحبشة بين سنتي 1554- 1555م لضم الموانئ الواقعة على الساحل العربي للبحر الأحمر سواكن- دهلك- مصوّع – حرقيقو.

تبنى السلطان سليمان مشروع القائد أزدمير باشا الذي تولى شؤون اليمن بين 1549- 1555م، والذي يقوم مشروعه على تأسيس ولاية عثمانية جديدة في المنطقة وهي التي ستعرف بإيالة الحبشة بغرض توسيع نفوذ الدولة العثمانية بمحاذاة ساحل البحر الأحمر من

---

[1] أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995، ص ص 235- 236.

[2] نسيبة عبد العزيز، المرجع السابق، ص613.

الشمال إلى اليمن جنوبا وضمان أمن سواحل البحر الأحمر الغربية وتأمين حدود ولاية مصر من الجنوب، بالإضافة إلى مراقبة حركة الملاحة ونشاط البرتغال وحلفائهم الأحباش في البحر[1].

كان لأزدمير باشا دور في العمليات العسكرية للجيش العثماني لإخضاع الأماكن الممتدة على التخوم الجنوبية لمصر بالقرب من ساحل البحر الأحمر، وقد قدّم أزدمير باشا معلومات عن المنطقة ابتداءا من مصر واليمن وبلاد الحبش وأرفق الخطة بتوضيح حول صعوبة إدارة الإيالة من مصر لبعدها عنها، وقد استطاع إقناع السلطة بمشروعه وصدر أمر سلطاني بذلك فأصبحت سواكن مركزا للولاية التي ستعرف بإيالة الحبشة والتي تضم سواكن مصوّع وجدة.صدر أمر تعيين أزدمير باشا بيلربك عليها في 5 جويلية 1555 ثم ضمت جزر دهلك التي كانت تتبع اليمن إلى إيالة الحبشة.

وطّد العثمانيون نفوذهم في سواكن ومصوع وربطوا بين إيالة الحبشة وجدة ووحّدوا إدارتها فأصبحت مهمتها مراقبة الملاحة في البحر الأحمر[2]. وكانت مواردها من خزينة مصر ومن واردات الجمارك في مصوّع وسواكن وحرقيقو، وكان مركز الولاية في البداية سواكن ثم نقل فيما بعد إلى حرقيقو[3].

انشغل أزدمير باشا في البداية بتوطيد الأمور الداخلية في ولاية الحبشة والإتصال بالإمام نور حاكم هرر(1552- 1567م) من أجل تنظيم حملة ضد ملك الحبش كلاوديوس(Clavdevos)(1540-1559م)، وفي سنة 1557م تمكّن من الإستيلاء على

---

[1] شوقي عطا الله،" **ولاية الحبش العثمانية بين إيالة جدة والإدارة المصرية (1234-1303هـ/ 1818- 1885م)**، مجلة الدارة، العدد2، جامعة القاهرة، 1417هـ، ص ص182-183.

[2] شوقي عطا الله، المرجع نفسه، ص183.

[3] نوال حمزة يوسف الصرفي، **الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا في القرن 10هـ/16م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987، ص 278.

ميناء مصوّع وحرقيقو ووضعهما تحت ولاية الحبشة، وواصل إلى دبارو شمال التجرا التي وضع بها حامية عثمانية، ثم تقدّم إلى منطقة أحامي(Agame) شمال غرب الوجرات.

عمل ملك الحبش كلاوديوس على صد هجمات العثمانيين وأمر قائده البحر نجش إسحاق بالتصدي للعثمانيين، واستطاع هزيمة أزدمير باشا. وفي سنة 1559م قاد أزدمير باشا حملة جديدة في منطقة دوارو لكنه توفي قبل أن يتم مهمته فنقل جثمانه إلى مصوّع، وفي نفس السنة انتصر الإمام نور على الملك كلاوديوس وقتله في موقعة فطجار[1].

بعد مقتل الملك كلاوديوس سنة 1559م اعتلى عرش الحبش الملك ميناس[2] **(Minas)**(1559– 1563م) الذي كان متشدّدا ضد نشر العقيدة الكاثوليكية في الحبش، فأصدر أوامر بمنع البرتغاليين إرتياد الكنائس الكاثوليكية ومصادرة ممتلكات رجال الدين الكاثوليك.

أعلن البحر نجش إسحاق الثورة على الملك ميناس ورغب في الإستقلال بالمنطقة التي يحكمها، وبعد معارك مع ملك الحبش فر إلى مصوّع وطلب الدعم من العثمانيين مقابل التنازل عن دبارو، فوافق عثمان باشا بن أزدمير باشا الذي سيتولى إدارة الإيالة بعد أبيه(1561– 1567م)، وفي سنة 1563م مات الملك ميناس متأثرا بالحمى وترك العرش لإبنه سرصا دنجل [3](Sarsa Dengel)(1563– 1597م) الذي واجه عدة مشاكل منها مواجهة البحر نجش إسحاق، وثورة الفلاشا[4].

---

[1] نوال الصرفي، المرجع السابق، ص ص 279– 280.

[2] **الملك ميناس:** أخ الملك كلاوديوس عرفت البلاد في عهده عدة إضطرابات نظرا لسياسته تجاه البرتغاليين، حيث منع المبشّرين البرتغاليين بمغادرة البلاد، ومنع زوجات البرتغاليين من إعتناق مذاهب أزواجهن فأصبحت البلاد على شفا حرب أهلية كما عمل على إعاقة التقدّم العثماني، ينظر: غسان علي الرمال، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن10هـ/16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 1981، ص 311.

[3] **سرصا دنجل:** هو إبن الملك ميناس ورث عن أبيه وضعا معقّدا خاصة بعد الحركات الثورية التي ظهرت في دبارو، كما كما عرف عهده تحولا في سياسته تجاه البرتغاليين بالعمل على توسيع علاقاتهم معهم وحتى مع ملك إسبانيا، ينظر: غسان علي الرمال، المرجع السابق، ص312.

[4] نوال الصرفي، المرجع السابق ، ص ص 281– 283.

بعد تدهور سلطنة هرر قدّم العثمانيون المعونة العسكرية لسلطانها محمد الرابع سنة 1577م لمواجهة ملك الحبش سرصا دنجل، كما أمدوا حليفهم البحر نجش إسحاق بالعتاد ودعمّم والي الحبشة أحمد باشا ووقعت معركة بين الطرفين في عدي كورو (Addi Qorro) في منطقة التجراي فانتصر الحبش واستشهد أحمد باشا وقتل إسحاق[1].

عيّن خضر باشا واليا على الحبشة سنة 1580م وأعاد فتح دباروا وجدّد بناء القلعة العثمانية بها وانهزم سرصا دنجل بعد أن حاول مهاجمة حرقيقو ودبارو، وتوفي خضر باشا فتولى بعده مصطفى باشا، وتحالف العثمانيون مع حاكم إقليم النجراي البحر نجش ولدا عزوم (Walda Ezum) الذي طلب مجيء العثمانيين إلى إقليم النجراي، ووقعت معركة بين العثمانيين وحلفائهم وجيش سرصا دنجل التي انتهت لصالح العثمانيين، وعمل بعدها الملك الحبشي على معاقبة حاكم التجراي فأمر قواته بنهب أراضي الفلاحين في التجراي[2].

عند تولي وردي باشا(1589– 1593م) عقد صلحا مع ملك الحبش سرصا دنجل لإنشغال الدولة العثمانية في عدة ميادين بأوربا الشرقية.

مع أواخر القرن 16م إستعانت الدولة العثمانية بالزعماء المحليين في موانئ شرق إفريقيا لإدارة إيالة الحبشة فأسندت إدارة مصوّع وحرقيقو إلى زعماء قبيلة البللو[3] لتولي منصب نائب الحكومة العثمانية في الساحل وكان مقر نائب البر في حرقيقو، كما تزعّمت أسرة النواب في إقليم السمهر[4](Samhar) وكان النائب يخضع لولاية جدة.

عندما توسّع العثمانيون على مصوّع وحرقيقو إنعزلت القبيلة في الداخل تاركة الساحل للعثمانيين فأصبحت السلطة بذلك بيد النائب الذي يقوم بتحصيل أموال الزكاة في إقليم

---

[1] غسان علي الرمال، المرجع السابق، ص ص 311– 316.

[2] غسان علي الرمال، المرجع نفسه، ص318.

[3] **قبيلة البللو**: من قبائل البجة وسمّيت فيما بعد بأسرة النواب، ينظر: نوال الصرفي، المرجع السابق، ص316.

[4] **إقليم السمهر**: يضم مصوّع وحرقيقو والمنطقة الممتدة إلى الداخل حتى حدود الهضبة الحبشية، ينظر: نوال الصرفي، المرجع السابق، ص314.

السمهر ورسوم المرور من القوافل المتجهة إلى الهضبة الحبشية والقادمة منها وفض النزاعات حول مناطق الرعي بينما تحوّلت سلطة العثمانيين إلى سلطة إسمية في الساحل الشرقي لإفريقيا بداية من القرن17م.

استطاعت الدولة العثمانية الحفاظ على البحر الأحمر وجعله بحرا إسلاميا مغلقا لحماية الأماكن المقدّسة والتحكّم في الطرق التجارية ودعم مسلمي شرق إفريقيا من خلال تأسيس إيالة الحبشة.

بعد تراجع وضع الدولة العثمانية ضمت إيالة الحبشة إلى جدة واكتفوا بوضع قائم مقام في سواكن ومصوّع. وفي سنة 1839 أصدر السلطان العثماني أمرا سلطانيا بضم مينائي مصوّع وسواكن لإدارة محمد علي باشا وبعد وفاته عاد الميناء مرة أخرى للإدارة المركزية إلى غاية سنة 1862 أين ضم مرة أخرى إلى إسماعيل باشا.

الحكم العثماني للعراق والتصدي للنفوذ الصفوي

بعد السيطرة على بلاد الشام ومصر عمل العثمانيون على بسط نفوذهم والسيطرة على العراق خاصة بعد تولي السلطان سليمان القانوني الحكم الذي تبنى استراتيجية توسعية تسعى للقضاء على النفوذ الصفوي في المنطقة العربية.

شهدت السنوات الأولى من القرن السادس عشر وتحديدا منذ عام 1508 م حتى 1534 م صراعا مريرا بين الصفويين والعثمانيين لإحتلال العراق، وأضحى هذا الأخير ساحة صراع بين هاتين الدولتين، ووقعت على أرضه حروبا عديدة من أجل السيطرة عليه واستثمار خيراته لصالحها.[1] حتى صّح القول أن من يسيطر ويحتل العراق يكسب ساحة صراع مهمة على حساب الطرف الآخر. [2]

خلال عهد الشاه إسماعيل (1487- 1524م) توجهت أنظار الصفويين إلى العراق في سنة 1508 م ليفتح بذلك آفاقا واسعة جديدة أمام بلاده ،إلاّ أنهم لم يتمكنوا من الإحتفاظ بالعراق أكثر من سنوات قليلة ،لأن العثمانيين في عهد السلطان سليم الأول شنوا حربا لا هوادة فيها على الصفويين في عقر دارهم، وانتصروا عليهم في معركة جالدران قرب تبريز سنة 1514 م.

جاء السلطان سليمان فأكمل المسيرة ذاتها في تثبيت حكم دولته للمناطق الإستراتيجية من شرق الأناضول إلى أذربيجان، وحين لم يستطيع تجاوز أذربيجان على غرار أبيه، إنعطف بجيشه إلى العراق واستخلصه من أيدي خصومه الصفويين، مستأثرا بموقعه الإستراتيجي لإطلاله على الخليج العربي، ولعقده المواصلاتية التي تربط بلاد فارس ببلاد الشام .[3]

أتاحت سيطرة العثمانيين على العراق لهم مخرجا على الخليج العربي، الذي تعتبر أهميته التجارية ملحوظة، كما تشكّل البصرة قاعدة إنطلاق لحملات تسمح لهم بوضع الضفة الغربية للخليج العربي تحت سيطرتهم.[4] هذا فضلا عن سهول العراق الخصبة، وكون العراق يشكّل منفذا سهلا للوصول إلى بلاد الشام ومنها إلى البحر المتوسط الذي كان يعد من

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق ،ص 28.

[2] الدجيلي حسن مجيد، **إيران والعراق خلال خمسة قرون**، دار لأضواء للنشر، بيروت ، ط1 ،1999 ،ص 64.

[3] عباس إسماعيل صباغ، المرجع السابق، ص 312.

[4] روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية** ،ج1 ،تر : بشير السباعي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1993 ،ص 225.

أفضل الأحواض البحرية التجارية حتى تحوّل الطريق العالمي بين الشرق والغرب عن الشرق الأدنى إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، إن كل ذلك فضلا عن عوامل أخرى دفعت بهاتين الدولتين للتنافس والصراع من أجل الهيمنة على العراق .[1]

تتزايد أهمية العراق لدى للصفويين لإحتلاله موقعا استراتيجيا وإيديولوجيا في آن واحد [2]، وقد تطلع الشاه إلى السيطرة عليه مدفوعا بثلاثة دوافع مذهبية وسياسية واقتصادية :

– الدافع المذهبي: إعتبرت الدولة الصفوية نفسها المدافع الأول عن المذهب الشيعي ومسؤولة عن انتشاره، يضاف إلى ذلك أن الشيعة في العراق كانوا ينظرون إلى شاه الصفويين أنه الحامي لهم ويلجؤون إليه كلما نزل بهم ضرر أو أعوزتهم الأموال،[3] وقد ساعد على ذلك وجود الأماكن الدينية والمقدسات الشيعية في نجف وكربلاء .

– الدافع السياسي: سيطرة الشاه على العراق تعطيه مكانة رفيعة يمكن أن يسّد الكثير من حاجات سكان البلاد، يضاف إليها أن الشاه أراد السيطرة على الطريق التجاري المار بديار بكر والموصل والذي يقطع عمق وادي الرافدين نحو الخليج العربي عبر بغداد .[4]

– الدافع الإقتصادي: بعد الحصار التجاري الذي فرضته السلطنة العثمانية في أواخر عهد السلطان بايزيد الثاني (1471 –1512 م) على حركة التجارة الصفوية ،[5] برزت أهمية الموصل كأحد أهم الطرق والممرات فهو بوابة طبيعية في شمال العراق تسمح بالتوغل إلى الأناضول أو بلاد الشام كل هذا جعل الإستيلاء الصفوي على العراق 1508 م ضرورة ملحة.

---

[1]. عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق ، ص 68 –69 .

[2] عباس اسماعيل صباغ ،المرجع السابق ،312.

[3] محمد سهيل طقوش، **تاريخ العراق الحديث والعاصر** ،المرجع السابق ، ص22.

[4] المرجع نفسه ، ص 23.

[5] عباس اسماعيل صباغ ،المرجع السابق ، ص 151.

بعد استيلاء الشاه على بغداد ومعظم جنوبي غربي بلاد فارس قام بمذابح واسعة النطاق ضد السنّة ودمّر مزاراتهم ومساجدهم،[1] بعدها فوّض الشاه إسماعيل خادم بك أبا منصور وهو من زعماء التركمان البارزين والموالين للشاه إسماعيل، وأوكل إليه الإدارة الصفوية الجديدة في بغداد، وأوصاه بإدارة المراقد المقدّسة والعناية بها، والعمل مع نقيب الأشراف السيد محمد كمونة[2] الذي ولاّه الشاه إسماعيل حكومة النجف وفوّض إليه شؤون العرب في العراق .[3]

إستولى الشاه إسماعيل على بغداد بعد مرور ثمانية سنوات من قيام الدولة الصفوية، التي كانت لا تزال في دور التكوين وتفتقر إلى المؤسسات الإدارية. ولذا اتبّع منذ البداية سياسة إدارية لا مركزية، تعتمد على القوى المحلية في الإقليم، وهو ما فرض عليه في العراق ترك حكومة المنتفك التي كانت تتّخذ من البصرة مقرا لها على وضعها السابق، وأطلق لها إدارة شؤون عرب العراق في الجنوب .[4]

أضفت هذه السياسة الصفوية مناخا لم يشهد العراق مثله منذ فترة طويلة، كان من أهم مظاهرها إستتباب الأمن وانتعاش التجارة وتحسّن الأوضاع الإقتصادية، وقد استمر ذلك الوضع حتى وفاة الشاه إسماعيل سنة 1524 م. أما بعد ذلك فإن المشاكل السياسية والهزات التي واجهت الدولة في عهد ولده الشاه طهماسب (1524– 1576م)، كان لها بعض الآثار السلبية على الأوضاع العامة في العراق .[5]

---

[1] أحمد مصطفى عبدالرحيم ،المرجع السابق ،ص 78 .

[2] **السيد محمد كمونة** :هو من السادة الأشراف حاز سمعة وصيتا وكانت له حكومة البلد مع حكومة أكثر البلدان العراقية أيام الصفويين ، وكان مطاعا في العراق وله جاه واحترام ونفوذ تام ،للمزيد انظر :الرفيعي عبد الأمير ،**العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية**،ج2، (د.م.ن)، (د.ت.ن)، ص 55 .

[3] الرفيعي عبد الأمير، المرجع السابق، ص 55 .

[4] المرجع نفسه، ص 55.

[5] الرفيعي عبد الأمير، المرجع السابق، ص 56.

عندما استولى الشاه إسماعيل الأول على العراق وضمّه إلى أملاك الصفويين، أرسل إليه السلطان العثماني بايزيد الثاني رسولا هو محمد جاوش بالابان. وحمّله بالهدايا الكثيرة ورسالة تهنئة غير متوقعة بفتح فارس والعراق، ويبدوا أنه كان يهدف إلى تدعيم الشاه دون أن يدرك مدى ما يشكّله من خطر على دولته، وعندما تمادى الشاه في إلحاق الأذى بالمسلمين السنّة وفرار هؤلاء إلى الأراضي العثمانية، كتب إليه يطلب منه التعقّل في معاملة أهل السنة وأن يقتدي بأسلافه .[1]

استغل الشاه سياسة المهادنة العثمانية لإكمال مشروعه التوسّعي فهاجم الأوزبك شرق الدولة الصفوية بحجة طردهم من مدينة كرمان التي استولوا عليها سنة 1508 م، وتمكّن بمساعدة إمبراطور المغول في الهند من إحتلال عاصمتهم سمرقند. ولم يهنأ إسماعيل كثيرا بانتصاراته في الشرق والغرب. فقد تعرّض ملكه إلى هزة عنيفة بانتهاء سياسة المهادنة العثمانية بمجيء السلطان سليم الأول إلى الحكم، ونجاحه المبكّر في إلحاق هزيمة قاسية بقوات الشاه في موقعة جالديران سنة 1514 م واحتلاله تبريز ومعظم شمال العراق وأجزاء من أرمينيا [2].

بالرغم من الإنتصارات التي حقّقها السلطان سليم الأول في معركة جالديران، إلاّ أن العراق لم يخضع كلّه للحكم العثماني، فقد خضع شماله فقط في الموصل وديار بكر، أما العراق الجنوبي والأوسط بمدنه الهامة مثل البصرة وبغداد ظل بيد الصفويين إلى غاية وفاة الشاه إسماعيل 1524 ،[3] والذي بوفاته دخلت الدولة الصفوية حقبة من الفوضى دامت عشر سنوات سيطر خلالها القزلباش على مقاليد الأمور فكان خلالها من المحال على الشاه الطفل طهماسب الحد من خطرهم وعرفت هذه الحقبة باسم حقبة القزلباش، وعندما سنحت

---

[1] محمد سهيل طقوش، **تاريخ العراق الحديث والمعاصر** ، المرجع السابق ، ص 24 .

[2] مشعل مفرح ظاهر وباسم حطاب الطعمه ،" **العلاقات العثمانية الصفوية (1587 – 1629 م)**"، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، ع 45 ، 2008، ص 152 .

[3] محمد أنيس، **الدولة العثمانية والشرق العربي(1514 –1914 م)**، دار الجيل للطباعة، القاهرة ،(د.ت.ن) ،ص 135.

الفرصة للشاه طهماسب بعد بلوغه سن العشرين المسك بزمام الأمور قتل عددا من زعماء القزلباش لكن كان الوقت متأخرا جدا، إذ ارتقى عرش الأستانة أقوى السلاطين العثمانيين السلطان سليمان القانوني .[1] فقد تمكّن هذا السلطان الذي لقّب بالعظيم من إستعادة العراق سنة 941 هـ /1534 م، وإحتلال مدن تبريز وأذربيجان المهمة .[2]

استولت القوات العثمانية سنة 945هـ /1538م على البصرة، ومالبث الحكم العثماني أن امتد إلى الأحساء في عام 963هـ/1555 م وباقي الخليج، وهكذا اكتملت سيطرة سليمان على الأراضي التي كانت تدخل في نطاق الخلافة القديمة. وتم إنقاذ المذهب السنّي، وتأكدت زعامة الدولة العثمانية على العالم الإسلامي .[3]

رغم استيلاء السلطان سليمان على كردستان ومعظم العراق، فإنه لم يوقّع الهزيمة بالصفويين الذين احتفظوا بأذربيجان وبعض أجزاء من شرق العراق وجنوبي القوقاز.[4] مما جعل الشاه طهماسب يتحيّن الفرصة لإستعادة مدن العتبات المقدسة، غير أن قوة السلطان سليمان القانوني حالت دون ذلك، وكانت أخطر محاولات الشاه في هذا الخصوص استغلاله الخلاف بين السلطان وابنه بايزيد المتمرّد واللاجئ إلى الصفويين. فقد عرض تسليم ضيفه مقابل إستعادة بغداد ومدن العتبات ،إلاّ أن السلطان رفض المساومة .[5]

ترك هذا النزاع حول العراق آثار سلبية على الدولتين العثمانية والصفوية وعلى العراق نفسه، فكلتيهما بذلتا جهودا مغنية، وضّحتا بجانب كبير من قوتهما ومن مواردهما لضرب

---

[1] . مشعل مفرح ظاهر وباسم حطاب الطعمه ،المرجع السابق ، 152 .

[2]. محمد فريد بك ،المرجع السابق ،ص ص 222 – 223 .

[3]. إسماعيل أحمد ياغي ،المرجع السابق ،ص 65 .

[4]. المرجع نفسه، ص 66 .

[5]. مشعل مفرح ظاهر وباسم حطاب الطعمه ،المرجع السابق ،ص 153 .

الأخرى، وفي آخر الأمر نجح العثمانيون في الإحتفاظ بهذا القطر جزءا من ممتلكاتهم ولم يهاجمه الصفويون بعد ذلك حتى سقطت دولتهم سنة 1108هـ/ 1736.[1]

عانت العراق التي كانت مسرحا للنزاع ألوانا شتى من المصاعب. فخروجه من يد الصفويين إلى العثمانيين أو العكس هزّ هذا البلد من أعماقه، فالحروب المتلاحقة وأعمال التدمير والحصار، واتساع أذى الحرب باستخدام الأسلحة النارية ليمس الأهالي بقصد أو بدون قصد. إضافة إلى الكوارث الطبيعية خلال هذه الفترة مثل المجاعات والفياضانات أهلكت الكثير من السكان[2].

أ- الحكم العثماني في العراق:

عانت الزراعة في العراق في أغلب سنوات الحكم العثماني من التدهور والكوارث الطبيعية، وكان المزارعون يعتمدون على وسائل وأساليب تقليدية، يعود بعضها إلى العصور القديمة.

لم تولي الحكومة العثمانية اهتماما بتطوير مشاريع الري، وهذه الأوضاع انعكس أثرها على الإنتاج الزراعي بشكل كبير. وعلى الرغم مما يعانيه الفلاح العراقي من صعوبات في عمله فان الحكومة كانت تفرض عليه ضرائب يصعب عليه تسديدها، كما كانت الفيضانات التي تتعرّض لها الأراضي الزراعية من العوامل التي تركت آثارها على تردي الإنتاج الزراعي[3].

---

[1] الطروانة طه ثلجي ،" **النزاع الصفوي العثماني حول العراق**"، حوليات آداب عين شمس ،دار المنظومة،المجلد 31، مصر ،2016 ، ص 70.

[2] المرجع نفسه، ص 71.

[3] كوتلوف ل، **ثورة العشرين(الوطنية التحررية في العراق)**، ترجمة عبد الواحد كرم،ط 2، مكتبة اليقظة العربية، بيروت،

تركت التغيرات الجديدة التي شهدها الإقتصاد العراقي آثارها على المكانة والنفوذ الذي كان يتمتّع به شيوخ العشائر في الريف. وحاولت الحكومة العثمانية تعزيز سيطرتها المركزية على المدن لذلك تم إصدار قانون الأراضي عام 1858م، وشعر بعض شيوخ العشائر أن التغيرات الجديدة لا تصب في خدمة مصالحهم، ورأوا فيه أن الحكومة العثمانية تسعى إلى القضاء على نفوذهم وتفكيك تماسك عشائرهم ونشر الإنقسامات فيما بينهم بما يحقق مصالحها. وبعد فتح قناة السويس عام 1869م وارتباط العراق بالعالم الرأسمالي تأثرت العشائر العراقية عامة ولا سيما التي كانت تقيم في القسم الأدنى من نهر دجلة وعند شط العرب[1]، فساعد هذا العامل على ارتباط الإقتصاد العراقي بعلاقات تجارية مع الأسواق الرأسمالية العالمية، مما هيأ إمكانيات جديدة لتطور الإقتصاد في البلاد، كما أدى ذلك إلى زيادة نفوذ رأس المال الأجنبي، وعلى الرغم من الجوانب الإيجابية التي تركتها عملية ارتباط العراق بالأسواق المالية العالمية إلا أنه بالمقابل كان له آثارا سلبية فقد أخذ العراق يتحوّل إلى ممول للسوق العالمية بالمواد الخام وهذه العملية جعلته مكبّلا بالقيود الإقتصادية والسياسية لتلك السوق[2].

كانت التجارة العراقية في القرنين الأولين من العهد العثماني مماثلة لما كانت عليه قبل ذلك حيث كانت التجارة الداخلية معتمدة وسائل النقل البدائية كما كانت المبادلات التجارية الخارجية مع جيرانها مثلما كانت عليه في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، لكن شهد الاقتصاد العراقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تقدما كبيرا نسبيا، في قطاع التجارة ولا سيما في الولايات العراقية الرئيسية بغداد، والبصرة، والموصل، وذلك لأسباب عدة منها ارتباط العراق بالأسواق الرأسمالية

1975، ص ص19- 20.

[1] حنا بطاطو، **العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**،ج1، ترجمة عفيف الرزار، ط2، دار الأبحاث العربية، بيروت، 1995، ص ص100- 103.

[2] كوتلوف، المصدر السابق، ص18.

العالمية، وظهور بعض الولاة المصلحين في العراق الذين حرصوا على تطوير وتنمية الاقتصاد كمدحت باشا[1].

أثّر الطلب المتزايد من الخارج على بعض المنتجات العراقية بالإضافة إلى زيادة الإنتاج الناجمة عن التوسع في الزراعة، ولم تكن صادرات الولايات العراقية الثلاث الرئيسية قبل دخول البواخر إلى دجلة والفرات وميناء البصرة ونشوء التجارة العراقية–الأوربية في أواسط القرن التاسع عشر تقتصر على المنتجات الزراعية والحيوانية فحسب، بل كانت تشتمل على بعض السلع المصنوعة محليا، وكانت السلع العراقية تصدّر إلى سوريا واسطنبول والمدن القريبة منها، وكان العراق آنذاك يصدّر بعض منتجاته المحلية، علما أن أغلب حمولة قوافله المصدرة كانت تتألف من المنسوجات، والحرير، والتبغ، والنيلة والفواكه المجففة، والتمور، وباستثناء التمور، التي كانت تنتج محليا، فقد كانت معظم البضائع تأتي من الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية وتصدر عن طريق العراق باتجاه بلاد الشام واسطنبول.[2]

على الرغم من التقدّم الكبير الذي شهده قطاع التجارة وقطاع الزراعة إلا أن الصناعة لم تتقدم كثيرا خلال العهد العثماني، فقد كان للتطور الاقتصادي آثارا سلبية على قطاع الصناعة، وأخذت العشرات من محلات الإنتاج الحرفي تختفي من الأسواق والبيوت التي تمارس فيها، لأنه لم يكن بوسع منتجاتها منافسة البضائع الأجنبية المستوردة الأجود والأرخص والأكثر تنوعا، وأخذت بعض المحلات الأخرى بمظاهر التحديث وانضم إليها عدد من الحرفيين الذين كانوا خسروا أعمالهم بسبب التطورات الحديثة التي شهدها الاقتصاد العراقي، وقد انضم الحرفيون الذين خسروا أعمالهم إلى صفوة الطبقة العاملة الوليدة التي كانت تمثل بدورها حالة جديدة في عراق ما بعد منتصف القرن التاسع عشر.

---

[1] عباس عزاوي، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**،ج2، ط1، مطبعة بغداد الحديثة، 1936، ص280.

[2] محمد سلمان حسن، **التطور الاقتصادي في العراق 1864– 1958**،ج1، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، 1965، ص87.

ظهرت منذ ذلك الوقت النواة الأولى للمستثمرين العراقيين في مجال الصناعة ووجدت الآلات الحديثة المتصلة بحياة الفرد المعيشية طريقها إلى العراق منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، وتأسّست في بعض المدن الرئيسية المطاحن الحديثة ومعامل لإنتاج المياه الغازية[1]، وأول معمل حديث تأسّس في العراق هو الذي في العقد السادس من القرن التاسع عشر، ولم يكن معملا على غرار معامل أوربا بل كان أقرب إلى ورشة لإصلاح البواخر والمكائن المستوردة، وفي عهد مدحت باشا(1869- 1872م) قام المعمل بتقديم خدمات مهمة للجيش وقد تم إصلاح العديد من البنادق القديمة في المصنع المذكور، وفي عام 1864م أسّس الوالي نامق باشا (1862- 1867م) أول معمل حديث للنسيج في العراق وكان يدار بقوة البخار، واهتم مدحت باشا في فترة ولايته بتطويره [2].

تميّز المجتمع العراقي بسمات وخصائص فريدة وإن توفرت في بلدان أخرى إلا أن العراق كان ولا يزال يشكّل فسيفساء اجتماعية حقيقية مزيجا يجمع العديد من الأطياف الدينية والمذهبية من جهة ومن أجناس وعرقيات عديدة من جهة أخرى عاشت وشكّلت مجتمعا واحدا رغم كل التناقضات لعدة قرون[3].

تميّز المجتمع العراقي من حيث التركيبة والبنية البشرية خلال الحكم العثماني بعدة خصائص أبرزها التنوّع الديني والمذهبي والعرقي، والطابع القبلي والعشائري ، حيث يتشكّل المجتمع العراقي من العديد من القبائل والعشائر التي كانت تشكّل بدورها وحدات شبه مستقلة يستمد أفرادها قوتهم ومكانتهم من قوة عشائرهم التي ينحدرون منها، ولكل عشيرة تقاليدها وعاداتها التي تميّزها عن غيرها، كما كان لهذه العشائر تأثير كبير في المناطق التي يتواجدون بها فكانت السلطات في أحيان كثيرة تخضع لتأثير ونفوذ هذه العشائر، وفي أحيان

---

[1] محمد سلمان حسن، المرجع السابق، ص28.

[2] علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**،ج3، ط1، المكتبة الوطنية، 1972، ص244.

[3] عبد الرزاق الحسني، **تاريخ العراق السياسي الحديث**، ط7، دار الرافدين، بيروت، 2008، ص19.

أخرى تتصادم معها وهو ما جعل السلطات العثمانية تحاول تفكيك وحدة تلك العشائر لكن أغلب محاولاتها باءت بالفشل.

العثمانيون وقضية الأندلس

مع أواخر القرن15م توالى سقوط قواعد المسلمين في الأندلس تباعا بيد إسبانيا النصرانية ولم يبقى منها سوى مملكة غرناطة، وبعد توحيد مملكتي أراغون وقشتالة وجّهت إسبانيا جهودها للقضاء على ما بقي للإسلام في الاندلس ممثلا في مملكة غرناطة مستغلة الصراع بين الأسر الحاكمة والتنافس على السلطة فاتجهت أنظار أمراء الأندلس إلى القوى الإسلامية في المشرق والمغرب على رأسها الدولة العثمانية التي حقّقت إنتصارات هامة وطلبوا منها المساعدة للحفاظ على ما بقي من مملكة غرناطة بيد المسلمين.

1- في عهد السلطان محمد الفاتح (1444 - 1482): مع مطلع العصور الحديثة تطوّرت الأحداث في ش ج الإيبيرية وأصبح إهتمام إسبانيا ينحصر في توحيد أراضيها وانتزاع ما تبقى للمسلمين خاصة بعد توحيد مملكتي أراغون وقشتالة وتوجيه جهودهم إلى

غرناطة التي كانت رمزا للملك الإسلامي وفرضت إسبانيا أقسى الإجراءات على المسلمين في محاولة لتنصيرهم وتضييق الخناق عليهم حتى يرحلوا عن ش ج الإيبيرية نتيجة لذلك لجأ المسلون إلى القيام بثورات في أغلب المدن الإسلامية خاصة في غرناطة وبلنسية وأخمدت تلك الثورات فاتجهت أنظار المسلمين إلى الملوك مشرقا ومغربا لإنجادهم وتكرّرت دعوات وفودهم ورسائلهم إليهم.

بعد أن كسرت الدولة العثمانية شوكة أوربا بفتحها القسطنطينية أصبح أمل الأندلسيين كبيراً بتلك القوى الإسلامية الكبيرة[1]، فتوجهوا باستغاثة إلى السلطان محمد الفاتح (1444-1463م)[2] من خلال الرسالة التي أرسلت إلى السلطان سنة 1477م بعد سماعهم بتقدم الدولة العثمانية في أوربا الشرقية والذي منحها هيبة ووزنا سياسيا وعسكريا على سائر أوربا، وكانت تلك العلاقة السياسية الأولى التي طلب فيها مسلمي غرناطة النجدة من الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح[3].

كان هدف السفارة لفت أنظار السلطان إلى حالة المسلمين في الأندلس طالبين تدخله لإنقاذهم ولكنه لم يرد على طلبهم لإنشغاله بالفتح بالجبهة الأوربية حيث كان اهتمامه متجها إلى السيطرة على البحر الأسود حتى يستطيع التقدّم إلى وسط أوربا ومواجهة التحالف الأوربي الذي كان يقوده البابا سكست الرابع (1414- 1484م) والذي يضم جنوة ونابولي والمجر، ترانسلفانيا وفرسان القديس يوحنا.

أرسل الملك المملوكي قاتيباي (1468- 1496) وفودا إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتّعون بالحرية في حين أبناء دينه في المدن الإسبانية يعانون أشد أنواع الظلم وهدّد باتباع سياسة التنكيل والقصاص تجاه الرعايا

عبد العزيز محمد الشناوي، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**،ج2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1 القاهرة، 1980، ص 602.

الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**،ج1، مطبعة الدولة التونسية،1287، ص2.71

فريد بك، المرجع السابق، ص ص 58-67.[3]

المسيحيين إذا لم يكف ملك قشتالة وأراغون عن هذا الإعتداء وترحيل المسلمين عن أراضيهم وعدم التعرّض لهم ورد كل أراضيهم لكنهم لم يستجيبوا لتهديده.

2- في عهد السلطان بايزيد الثاني(1481-1512): تجدّدت رسائل الإستنجاد في عهد السلطان بايزيد الثاني حيث وصلته رسالة سنة 1487 من أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة جاء فيها بعد الديباجة قصيدة ألفها أبو البقاء صالح بن الشريف وصفت الحالة التي كان يعاني منها المسلمون وما تعرّض له الشيوخ والنساء من هتك للأعراض وما يتعرّض له المسلمون في دينهم جاء في مطلعها:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا بأندلس بالغرب بأرض غربة

أحاط بهم بحر من الردم زاخر وبحر عميق ذو ظلام ولجة

تكرّر طلب المساعدة من العثمانيين في عهد بايزيد الثاني، الذي اتفق مع قايتباي ملك مصر على مساعدة الأندلسيين بإرسال بايزيد أسطولا إلى اسبانيا، وأن يرسل قايتباي قوة برية من جهة إفريقيا[1].

وقد أورد محمد عبد الله عنان[2] تفصيلاً عن بوادر التحالف العثماني المملوكي من اجل مد يد العون للمناطق الأندلسية المنكوبة فقال: ﴿... أمراء الأندلس وزعماؤها مذ لاح لهم شبح الخطر الداهم، يتجهون بأبصارهم إلى دول المغرب والمشرق معاً، وكانت كتبهم ونداءاتهم في تلك الآونة العصيبة تثرى على فاس والقاهرة والقسطنطينية... أن المشرق كله اهتز بحوادث الأندلس، وسقوط قواعدها السريعة في يد النصارى، وأن بايزيد الثاني سلطان الترك والأشرف قايتباي سلطان مصر، تهادنا مؤقتاً بالرغم مما كان بينهما من خصومات مضطرمة وحروب دموية وعقدا محالفة لإنجاد الأندلسيين وإنقاذ دولة الإسلام، ووضعا لذلك

---

[1] علي محمد حمودة، **تاريخ الأندلس السياسي والاجتماعي والعمراني**، دار الكتاب العربي، مصر،1957،ص ص2- 3.

[2] محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصّرين**، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص ص218- 219.

خطة مشتركة خلاصتها أن يرسل بايزيد الثاني أسطولا قوياً لغزو جزيرة صقلية التي كانت يومئذ من أملاك اسبانيا ليشغل بذلك اهتمام فرناندو وإيزابيلا، وان تُبعث سريات كبيرة من الجند من مصر وافريقيا، تجوز البحر إلى الأندلس، لتنجد جيوشها وقواعدها﴾.

إلا أن الدولة العثمانية كانت تعيش ضغوطات داخلية وخارجية ومنها نزاع السلطان مع أخيه جم الذي انشق عليه وما أثار ذلك من مع مشاكل مع البابوية في روما وبعض الدول الأوربية وهجوم البولنديين على مولدافيا والحروب في ترانسلفانيا والمجر والبندقية وتكوين تحالف صليبي جديد بقيادة البابا يوليوس الثاني(Jules II)(1443- 1513م) وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا، وما أسفر عنه من توجيه القوة العثمانية لتلك المناطق، ومع ذلك حاول السلطان بايزيد تقديم المساعدة حيث وقّع إتفاقا مع المماليك لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة ، وبموجب هذا الإتفاق يرسل السلطان بايزيد أسطولا على سواحل صقلية بإعتبارها تابعة لإسبانيا وأن يجهّز المماليك حملات أخرى من ناحية إفريقيا، وأرسل السلطان بايزيد أسطولا تحول إلى الشواطئ الإسبانية كان يقوده كمال رايس.

كانت استجابة السلطان العثماني على ذلك الاستنجاد بإرسال أسطوله البحري الذي قاده (كمال رايس)، كان مجرد ذكر اسمه يعني إلقاء الرعب في قطعات الأساطيل المسيحية في مياه البحر المتوسط خلال أواخر القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، فوصل إلى الشواطئ الاسبانية، وقد دحر ذلك الأسطول قرب الشواطئ الاسبانية، وبما أن ذلك الحادث لم يذكره المؤرخون المسلمون فان هناك شكاً في حدوثه، ولا سيما إذا ما عرفنا أن الدولة العثمانية خلال تلك المدة كانت مشغولة بحروبها في شرق أوربا، وحربها مع المماليك في البحر المتوسط أو بلاد الشام، إضافة إلى ذلك كانت القوات البحرية الاسبانية في تلك الفترة تتفوق بحرياً في البحر المتوسط، وليس من المعقول أن يجازف السلطان العثماني هكذا مجازفة، لا سيما وأن نابلي التابعة لاسبانيا في تلك الفترة كانت قوتها البحرية كبيرة أيضا، فمن الممكن أن تقطع الإمداد عن ذلك الأسطول؛ لذلك فان الشكوك تدور حول

هكذا فعل من قبل العثمانيين الذين كان يهمهم إرضاء البابا الذي يغضب لغضب ملوك الاسبان ويرضى لرضاهم، وكان السلطان بايزيد الثاني معروفاً بالتقوى والتدين، وكانت أخبار الأندلسيين تصل إليه بطريق اللقاءات السنوية للحجاج في بيت الله الحرام، لذلك كانت أخبار الدولة العثمانية وقوة شوكتها تصل إلى الأندلسيين، وبنفس الطريق كانت تصل أخبار مظالم الغرناطيين إلى الدولة العثمانية؛ لذلك كانت الدولة العثمانية تمثل بالنسبة للغرناطيين الموريسكيين، الأمل الكبير الذي ينقذهم من الإسبان[1].

ردّ السلطان بايزيد الثاني الذي قيل أنه كان معروفا بالتقوى والتديّن[2]، على إحدى الإستغاثات الأندلسية بإرسال كتاب احتجاج إلى الملكين الكاثوليكيين، اللذين لم يعملا بشيء منه، وكان ذلك بعد انتفاضة البيازين في سنة 905هـ/1499م[3].

من الممكن أن يكون ذلك الكتاب الذي أرسله بايزيد الثاني رداً على الاستغاثة التي أرسلها الموريسكيون على شكل قصيدة تكشف جوانب كثيرة عن أحوال الموريسكيين، وكيفية تعامل الاسبان معهم، وما حل بمدنهم بعد سقوطها، إلا أن هذه الحملة لم تتقدم داخل الأراضي الإسبانية واكتفت بنقل بعض الأندلسيين إلى الأراضي العثمانية.

3- في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566): الإنتصارات التي حقّقتها الدولة العثمانية في عهد السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني على حساب الجيوش الأوربية شجّعت الأندلسيين على الإستقرار في اسطنبول، كما أن الأندلسيين المتواجدين بإسبانيا كانوا يتتبّعون تلك النجاحات وكيف أصبحت إيالة الجزائر حصنا منيعا يلتجأ إليه الأندلسيون كما أن وجود خير الدين بيلربايا على الجزائر والإنتصارات التي حققتها الجزائر على حساب

---

[1] كارديلك، **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون والمجابهة الجدلية (1492-1640) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا**، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1983، ص91.

[2] محمد عدنان سلامة البخيت، "**رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم الحفصي سنة 896هـ/1491م**"، مجلة الدراسات التاريخية المغربية، تونس، عدد 10، 1978، ص 69.

[3] محمد عبده حتامله، **التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين(1474- 1516م)**، ط1،الجامعة الأردنية، عمان، 1980، ص92.

الإسبان وتشجيع حركة إنقاذ مسلمي الأندلس جعل الإسبان يصرون على مطاردة المسلمين وتشديد الحملات عليهم والمساهمة في إقامة الحصون والقلاع في شمال إفريقيا، بالإضافة إلى حملة شارلكان سنة 1541م التي كان لها صداها الإيجابي فبعد أقل من شهر من هزيمة شارلكان أرسل مسلمو الأندلس رسالة إلى السلطان سليمان القانوني وذلك بعد إدراكهم لفداحة هزيمة عدوهم شارل الخامس أمام مدينة الجزائر، حيث ازدادوا ثقة في شخصية سليمان القانوني واعتبروه أملهم الوحيد في سبيل نجاتهم[1].

طلب الأندلسيين من السلطان العثماني التعجيل بنجدتهم مذكرين إياه بما قام به خير الدين أثناء فترة ولايته على الجزائر بل وعرضوا عليه فكرة تفويض خير الدين باشا في حكم إقليم الجزائر ليعمل من جديد على صد العدوان الإسباني، وهذا ما يبين لنا مدى السمعة التي كانت يحظى بها خير الدين في الربع الثاني من القرن السادس عشر[2].

أعطت تلك الرسالة صورة حية مؤلمة لما يلاقيه المسلمون من السلطة الإسبانية والتأكيد على نشاط خير الدين وما قام به لإنقاذهم ومطالبة السلطان سليمان القانوني بإعادة تعيينه بيلربايا على الجزائر لأنه الشخصية الوحيدة القادرة على إنقاذهم من الهجومات الإسبانية، وقد أرسل السلطان سليمان 80 سفينة و8000 مقاتل من الإنكشارية إلى خير الدين وأمره بمهاجمة إسبانيا لإنقاذ المسلمين وفتحت الدولة العثمانية أبوابها أما الأندلسيين الفارين من بلادهم فاستقبلوا المسلمين واليهود.

كما كانت للسلطان أحمد الأول (1603 – 1617) جهوده في سبيل إنقاذ مسلمي الأندلس بعد الطرد النهائي وسياسة القمع للإسبان والقوانين والأوامر الصادرة من دواوين التحقيق حيث قام بعدة مساعي لدى فرنسا وبريطانيا والبندقية لمساعدة المورسكيين وإنقاذهم وتسهيل تحويلهم إلى أراضي الدولة العثمانية، فاستجابت فرنسا بحكم العلاقات الودية بين

---

[1] عبد الجليل، التميمي، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989، ص33.

[2] عبد الجليل، التميمي، المرجع السابق، ص34.

فرنسا والدولة العثمانية ووافقت على إخراج المسلمين ونقلهم على متن سفن فرنسية من سواحلها إلى حيث يرغبون من سواحل البلاد الإسلامية، أما بريطانيا لم تستجب بسبب الإتفاق الموقع مع إسبانيا سنة 1604م .

أظهرت الدولة العثمانية إهتمامها البالغ بقضية الأندلس منذ القرن 16م كما كان للسلاطين إهتمام بإسترداد الأندلس ، أو على الأقل في مساعدة الأندلسيين وتسهيل نقلهم للأراضي العثمانية.

الحكم العثماني للجزائر

شنّت إسبانيا حملات على السواحل الجزائرية واستولت على أهم الموانئ المرسى الكبير في 911هـ/1505م، ووهران 914هـ/1509م، وهو ما دفع المدن الساحلية مثل دلّس، الجزائر، شرشال، وتنس، ومستغانم إلى تقديم الولاء إلى الأسبان[1]ودفع الضريبة خوفا من تكرار ما حصل بوهران، وهو نفس ما قامت به القبائل المجاورة للمواقع المحتلة مما خنق تلك الدولة وجرّدها من مواردها ودورها التجاري مع المماليك الأوربية وحتى مع السودان الغربي، وأفقد سلاطينها مكانتهم في نظر رعاياهم لاسيما عندما تنازعوا على البقية الباقية من الملك ومالوا إلى الاستعانة بعضهم على بعض بالأسبان والأتراك العثمانيين.

تفكّك المغرب الأوسط وانحلال السلطة السياسية وافتقاره إلى سلطة قوية تفرض نفوذها وهيبتها، بعدما أصبح مسرحا للفوضى والتطاحن بين مختلف القبائل[2]، شجّع على ظهور الخطر المسيحي الذي فشل الحكم المحلي في طرده من السواحل، وكان لابد للأهالي من إيجاد سلطة مستقرة وقوية للدفاع عنه[3]، فبرز المرابطون الذين أخذوا على عاتقهم مهمة رد الخطر المسيحي، فالتف حولهم الناس بعدما حملوا على عاتقهم الدفاع عن ديار الإسلام

---

[1] E.De La PRIMAUDIE: "Document inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique", in R.A N°20, 1876, p73.

[2] محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، ط 2، مكتبة الشرق، بيروت، 1979، ص 16.

[3] P.GAFFAREL, **L'Algérie, Histoire, conquête et colonisation**: Imp.de l'institut, Paris, 1883, p11.

وجعلوا من زواياهم ملجأ لمجاهدي البحر والبحارة العثمانيين، فهؤلاء المرابطين كان لهم تأثير على العامة .

إن سقوط وهران في سنة 914هـ/1509م بيد الأسبان قد أزّم أمور الدولة الزيانية حيث اضطربت إلى حد كبير لأن وهران كانت بوابة تلمسان على الساحل وكانت تدر أموالا كبيرة عليها بفضل التجارة، وقد نجم عن سقوطها خضوع قبائل بني عامر الأخرى المقيمة بأطراف وهران للأسبان[1]مثل عرب سويد الذين كانوا يقطعون السبل على الناس لنهبهم، واضطر السلطان الزياني الذي تقلّص ملكه كثيرا إلى إبرام معاهدة صلح مع فرديناند ملك إسبانيا (1452–1516) في سنة 918هـ/1512م[2]، وهو ما أنكرته عليه الرعية، فانتشر الإضطراب أكثر وأصبحت القبائل متذبذبة في ولائها لهم، حيث خضع بعضها للأسبان كما ذكرنا ومال بعضها إلى الاستقلال عنهم أو التعاون مع العثمانيين بعد إستقرارهم في الجزائر.

ظلّت القبائل الأخرى مرتبطة ببني زيان الذين كان سلاطينهم يهادنوهم ويستميلونهم بالمال تارة وبالمصاهرة تارة أخرى[3]، وكان من نتائج مهادنة السلطان أبو حمو الثالث (1516–1528) للإسبان وسجنه لأبي زيان وإثقاله كاهل الرعية بالضرائب التي كانت معفاة منها فاستغاثت هذه الأخيرة بعروج (1470–1518) على لسان مناصري أبي زيان، فاستجاب عروج لهم.

إن الانتصارات التي حقّقها العثمانيون تركت انطباعا حسنا لدى الأهالي الذين يجمع المؤرخون أنهم هم من استنجد بهم، وما مجيء العثمانيين إلى الجزائر واستقرارهم بها إلا استجابة لطلب سكان الجزائر.

---

[1] محمد الزياني، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 142.

[2] Ernest Mercier, **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, tome second, Ernest Leroux: Editeur, Paris, 1888, P 425.

[3] مولاي بلحميسي: "**نهاية دولة بني زيان**" الأصالة، السنة 04، العدد26، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975، ص33.

حمل الإخوة بربروس راية الجهاد وبظهورهم في الجهة الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط وازدياد نفوذهم عن طريق ممارسة الجهاد البحري في نهاية القرن 15 م، خصوصا بعد أن وجد عروج مكانا له في خضم هذه الأحداث بحيث أعطاه الملك الحفصي مكانا يلجأ إليه للراحة مقابل خمس الغنائم، بمنطقة جربة بعد العودة من الجهاد البحري[1]، وحسب رواية عبد الرحمان التلمساني فإن السكان هم من راسل الإخوة بربروس بجيجل برسالة جاء فيها:

﴿ أخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين فهنيئا لكم أيها المجاهدون ولابد أن تقدموا إلينا لتتخلّصوا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا في محنة عظيمة وذل شديد ...﴾[2].

تعاون سكان الجزائر مع العثمانيين في جيجل ووهران وعنابة ودلس والجزائر، وقام عروج بالهجوم على بجاية بين سنتي (1512–1514) من تونس بعدما سمح السلطان الحفصي بإيواء السفن العثمانية لكنه فشل في فتح المدينة وأصيب في ذراعه الذي بتر حفاظا على حياته[3].

اتجه عروج إلى جيجل التي أفتكها في عام 1514 م من يد الجنويين الإيطاليين الذين اتخذوها مركزا لهم لصيد المرجان في الشرق الجزائري، وهذا بعد مضايقة الأمير الحفصي للإخوة بربروس بتونس[4]، وبذلك نقلوا قاعدتهم من تونس إلى جيجل وقد استقبلته هذه المدينة بحفاوة بعد خروجه من جربة[5] فأعطى لها ذلك حظوة من طرف العثمانيين، كما استنجدت به بجاية قصد تحريرها، ولكنه فشل في محاولته الأولى وانطلق منها نحو مدينة الجزائر التي استغاثت هي الأخرى في 1516 م، فقام بتوجيه حملة ناجحة عليها، كما عمل على

---

[1] عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص221.

[2] محمد بن عبد الرحمن التلمساني، "**الزهرة النيرة لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة**"، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، جويلية 1967، ص32.

[3] مجهول، **الغزوات**، مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1622، ص7.

[4] Ernest watbled, « **Etablissement de la domination turque en Algérie**», in R.A, A 17, N° 99, mai 1873, p352.

[5] محمد الصالح ابن العنتري، **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص38.

تحصينها من الضربات الإسبانية، ونتيجة نشاطه في حوض البحر الأبيض المتوسط وصولته فيه، طلب بعض أعيان الجزائر نجدته للتخلص من التواجد الاسباني على سواحلهم.

كانت تلك أول لبنة وضعها عروج لأخذ زمام الحكم بالجزائر وتغيير مسيرتها التاريخية ومنها بدأ في عملية توسيع مجاله الحيوي في هذه المنطقة حتى تكون قاعدة ودولة لحكمه، خاصة بعد أن أقصى حاكم مدينة الجزائر سالم التومي الذي أراد أن يقوم بمحاولة تآمر ضده ولكن عروج سبقه إلى ذلك فقام بقتله، ففتح له الباب في التوسع نحو المناطق الداخلية على حساب مليانة والمدية وتنس حتى وصل إلى غاية عاصمة الغرب تلمسان ودخلها[1]، وفر ملكها الزياني من أمام جند عروج ونصب هذا الأخير نفسه ملكا عليها في 1517 م، ولكن الملك الزياني استنجد بالأسبان المحتلين لوهران وتم تجهيز حملة ضده وانطلقت من وهران.

اتجه عروج بعدها إلى شرشال التي فتحها سنة 1516 بمساعدة الزعماء المحليين، ثم فتح مدينة الجزائر بطلب من أهلها[2]، وفي سنة 923هـ/1517م دخل تلمسان بعد أن استنجد به مناصري أبي زيان فاستطاع فرض سلطته عليها لكنه لم يلبث بها كثيرا لأنه قتل سنة 924هـ/1518م وأعيد السلطان أبي حمو وتواصل مسلسل الإستغاثة بالأسبان والعثمانيين إلى أن حسموا الأمر بضم تلمسان وممتلكاتها إلى حكومتهم بالجزائر في سنة 958هـ/1551م.

عرف الجزء الشرقي من المغرب الأوسط هو الآخر وضعا مماثلا في مطلع القرن 16م، إذ كان يعاني هو الآخر من الغزو الخارجي الإسباني والجنوي الذي استهدف المدن

[1]Ernest watbled, « **Etablissement …** », R.A, p352.

[2]. مجهول، المصدر السابق، ص 11.

الساحلية وأدى عجز الأمراء الحفصيين عن المواجهة إلى تفكك كبير وبروز وحدات سياسية صغيرة هنا وهناك .

بسبب هذا الوضع المتردي وبدعوى الرد على أفعال القرصنة التي كان يقوم بها المسلمون المغاربة والمهاجرون الأندلسيون ضد سفن وشواطئ الأسبان، هاجمت إسبانيا بعدة حملات سواحل الضفة الجنوبية للمتوسط خاصة بعد ثورة المسلمين بجبال غرناطة سنة 907هـ/1507م[1]، وتمكنت من احتلال أهم المدن والموانئ الساحلية.

نجح الإسبان في بضعة سنوات في احتلال مواقع هامة وعديدة على طول الساحل الجزائري، كانوا ينطلقون منها للإغارة على المناطق المجاورة لتلك المواقع للنهب والسلب فقط لا لاحتلالها[2] مما أدى إلى هجرة سكان المناطق المجاورة فيما بعد ما نتج عنه حرمان الأسبان من تموين قار .

يعتبر الغزو الإسباني وفشل الحفصيين والزيانيين في التصدي له وميلهم إلى مهادنة المحتلين الأسبان من أسباب بروز القوى الدينية والمرابطين[3] على المسرح السياسي لقيادة المقاومة ضد المحتلين وملء الفراغ الذي أحدثه ضعف الحفصيين والزيانيين .

عندما أدرك بربروس أن المرابطون هم القادرين على التأثير على العامة[4] وأن مفتاح الجزائر بيدهم لما تميّزوا به عن العامة بثقافتهم وتقواهم وبركتهم وبنسلهم الشريف[5]، استغلوا هذا الأمر لصالحهم فبدءوا يتقرّبون منهم ويعتمدون عليهم في مد سيطرتهم وكسر شوكة كل

[1] Mercier, OP CIT, tome 2,P 416.
[2] Ch.A.Julien, **Histoire de l'Afrique du nord (Tunisie-Algérie-Maroc) de la conquête arabe à 1830**, tome 2, 2eme édition revue et mise a jour par Roger Le Tourneau, Payot, Paris, 1956, p250-257.
[3] F. Braude, **La Méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II**, tome 1, 3eme édition, librairie Armand Colin, Parie, 1976, P 164.
[4] COUR, Op.Cit, p53.
[5] BEN MENSOUR, Op.Cit, p26.

من يقف في وجههم، خاصة بعدما أعطوا لسياستهم في الجزائر صبغة دينية لم تتجاهل هذه القوى المحلية[1].

تعرّض خير الدين في بداية تأسيسه للايالة الجزائرية إلى مصاعب وردود فعل من طرف الحكام الحفصيين المتعاونين مع أمراء البربر في بلاد القبائل(إمارة كوكو Royaume de Koukou) مما جعله يعود إلى جيجل، وكانت الفترة الممتدة ما بين (1520 – 1525م) التي قام فيها خير الدين(1472–1546) بعدة أعمال فقد جابه في المرحلة الأولى من حكمه الجبهة الخارجية والمتمثلة في الصراع العنيف مع الدول الأوروبية وعلى رأسها إسبانيا ومحاولة طرد الأسبان من المراكز الساحلية التي احتلتها على الساحل الجزائري وقد نجح في ذلك رغم بقاء منطقة وهران في أيديهم نتيجة تحصينها وظلت لهم إلى غاية القرن الثامن عشر[2].

تميّز خير الدين بحزم ودهاء سياسي حاد، جعله يعتبر المؤسس الحقيقي للايالة الجزائرية، خاصة بعد ربطها مباشرة بالدولة العثمانية التي منحته لقب البايلرباي أو أمير الأمراء وأمدته بالقوة العسكرية من رجال الانكشارية، فقام على المستوى الداخلي بتوحيد المغرب الأوسط وتوسيع دائرة نفوذه باسم الدولة العثمانية نحو القل في 1521 م، وعنابة وقسنطينة في 1522 م، ومتيجة في 1525[3] وتعذّر عليه دخول بجاية إلى غاية سنة 1555م.

تمكّن خير الدين في سنة 1529 م من تحرير حصن البنيون من يد الأسبان وربطه مباشرة بالساحل، ومنذ هذا التاريخ أصبحت الجزائر عاصمة كبرى للمغرب الأوسط بل وحتى لكامل شمال إفريقيا العثمانية، وبدأ استعمال كلمة الجزائر للدلالة على إقليم المغرب الأوسط

---

[1] E.TRUMELET, **Les Saints De L'islam, Légendes Et Croyances Algériennes**, Les Saints Du Tell, Didier, 1881, P236.

[2] صلاح العقاد، **المغرب العربي في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة(الجزائر تونس المغرب الأقصى)**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص ص 18–20 .

[3] Ernest MERCIER, **Histoire de l'Afrique septentrionale (berbérie)**, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), tome premier: Ernest leroux éditeur, paris 1888, p13.

منذ ذلك الوقت[1]، وبتحرير حصن الصخرة يكون خير الدين قد أزاح الشوكة التي كانت في حلق الجزائر وتم بذلك ربط الجزر المتناثرة أمامها بالشريط الساحلي مباشرة[2]، وقد قام السلطان العثماني بترقية خير الدين على رأس قيادة الأسطول العثماني مما جعله يغادر الجزائر ويخلف عليها حسن آغا(1535-1544) فقام شارل الخامس (1500-1558) بأكبر مغامرة له وذلك بتجهيز حملة ضخمة وجهها إلى مركز النشاط في بلاد المغرب أي إلى الجزائر وأسند قيادتها إلى أندري دوريا، وقد انطلقت الحملة الاسبانية المتجهة إلى الجزائر التي نزلت بالأراضي الجزائرية.

تعرّضت الحملة إلى عاصفة هوجاء دمّرت الجزء الأكبر منها مما أعطى دفعا إلى الجزائريين بالدفاع عن أسوار مدينتهم وقد رجع شارل الخامس حاملا أذيال الهزيمة في سنة 1541م[3]، وهو ما أعطى مناعة لهذه المنطقة وأكسبها احتراما دوليا، فأصبحت مرهوبة الجانب، وشاركت في معارك بحرية مع الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية المسيحية، وأثرت على مجرى الأحداث الجيوسياسية لحوض البحر الأبيض المتوسط ويظهر من خلال التكالب المستمر للحملات العسكرية البحرية للدول الأوربية كمحاولة لفرض نفسها وكسر شوكة الجزائر، ولكنها تلك الحملات كانت غالبا ما تعود خائبة وفاشلة، وهذا ما زاد في حصانة ورهبة مدينة الجزائر التي سميت ب"الجزائر المحروسة "طيلة الحكم العثماني.

يقول قفاريل(GAFFAREL) حول ذلك:﴿ إن الإخوة بربروس كانوا حكماء وسياسيين على غرار كونهم رجال حرب فقد أدركوا أنه لابد لهم من قوة أو سند يضمن لهم ولاء السكان﴾[4].

من هذا المنطلق عمل عروج على كسب مساعدة معنوية من السلطة الدينية، رغم أنه قتل الشيخ سالم التومي عندما أراد استرجاع نفوذه على مدينة الجزائر .

---

[1] Alfred Nettement**, Histoire de la conquête d'Alger**, nouvelle édition: Librairie jacques le coffre, 1867, p18.
[2] Ernest MERCIER, Op.Cit, p13.
[3] Monnerau et Watbled, **« Négociation entre Charles Quint et Kheir-Ed-din (1538-1540)** », R.A ,N°15, année 1871, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, p139
[4] P.GAFFAREL, **L'Algérie, Histoire**, Op.Cit, p13.

أ-الجزائر إيالة عثمانية:

بعد استشهاد عروج وجد خير الدين نفسه في وضعية حرجة فقد صارت الأخطار تهدّده من كل جانب، ففي الخارج خطر الإسبان الذين قد يستغلون فرصة انتصارهم على عروج في تلمسان ويسارعون إلى استئصال الأتراك من مدينة الجزائر بالإضافة إلى أطماع الحفصيين، أما في الداخل فقد تمرّدت عليه كل من تنس وشرشال وبلاد القبائل بزعامة أحمد بن القاضي كما أنه كان يعاني من نقص الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء.

عزم خير الدين في هذه الظروف الصعبة على مغادرة الجزائر والذهاب إلى بحر الروم غير أن مجلس أعيان الجزائر عقد اجتماعا لدراسة هذا القرار واتفقوا على ضرورة بقاءه كحاكم عليهم كما قال مفتيهم:﴿ ليس لهم غيرك كحاكم، سيكون من غير المشرف أن تتركهم عرضة لهجمات الكفار، الذين لا ينتظرون إلا الوقت الذي تبتعد فيه عنهم ليغرقوا هذه البلاد بجيش ... ﴾[1] فارتاح خير الدين لهذا الموقف وتراجع عن قراره، كما أنه بحاجة إلى قوة حليفة تعينه على التصدي للخطر الإسباني والمتمثلة في الخلافة العثمانية لذلك عرض خير الدين على أعيان المدينة فكرة طلب الحماية من السلطان العثماني سليم الأول الذي سيمدهم بالمال والرجال وما يحتاجونه من عتاد حربي فرضي أهل المدينة بذلك[2]، كما طلب منهم اختيار واحد منهم يقدمونه عليهم واقترح ابن القاضي الذي كان قد تولى قضاء بجاية في عهد الحفصيين فردّوا عليه: ﴿ أيها الأمير يتعين جلوسك في هذه المدينة لأجل حراستها، ... ولا رخصة لك في الذهاب عنهم وتركهم عرضة للعدو الكافر...﴾[3].

---

[1] علي أجقو، **محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائري (1514-1837)**،ج2، ط2، باتنيت، المعلوماتية والخدمات المكتبية، 1999، ص3.

[2] نفس المرجع .

[3] مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1934 ص42.

كتب سكان الجزائر رسالة باسمهم إلى السلطان العثماني يعرضون فيها استعدادهم لطاعته ويطلبون منه قبولهم في من تشملهم رعايته، فأرسل وفد إلى اسطنبول يترأسه أبو العباس احمد بن القاضي[1]، على متن أربع سفن يحمل الرسالة مع هدية السلطان وكانت هذه الرسالة مؤرخة في أوائل ذي القعدة 925هـ/بين 26أكتوبر و3نوفمبر 1519م ومن بين ما جاء فيها: ﴿ ...أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أحمد أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ونحن أميرنا خدام أعتابكم ...وإن المذكور حامل المكتوب سوف يقدّم لحضرتكم ما يجري في هذه البلاد من الحوادث والسلام...﴾[2].

جاءت هذه الرسالة تفيض بالولاء للسلطان العثماني والثناء على خير الدين الذي قال أعيان مدينة الجزائر بأنه الحاكم الكفء في المغرب الإسلامي، فهو يمتثل لأوامر الشريعة الإسلامية ويحرص على إقامة العدل ولا يدّخر جهدا في سبيل الجهاد ضد النصارى.

استقبل الوفد الجزائري بكل حفاوة في اسطنبول وبعد الإطلاع على الرسالة وافق السلطان العثماني سليم الأول(1512-1520) على مطلبهم دون تردّد لان انضمام الجزائر للخلافة العثمانية يضمن لها زيادة أسطولها البحري من جهة، ومن جهة أخرى يضمن الحرية عبر البحر الأبيض المتوسط، وعند مغادرة الوفد أرسل السلطان معهم فرمانا إلى خير الدين يضمن قبوله دخول الجزائر ضمن أقاليمه، ومنح هذا الأخير لقب بيلرباي، كما وافق السلطان على ذكر اسمه في الخطبة وأن تضرب السكة باسمه[3]، وبالإضافة إلى إرسال أسطول إسلامي إلى الجزائر يحمل ألفي إنكشاري وكمية ضخمة من العتاد، كما دعمهم بأربعة آلاف من المتطوعين الذين منحهم امتيازات الإنكشارية[4] .

---

[1] ورد إسم ابن القاضي في الرسالة الذي كان سبق له وان رافق خير الدين في حصار بجاية، وفي القضاء على قارة حسن بشرشال، كما حضر حصار الأسبان لتلمسان وقد يكون ذلك سبب اختيار خير الدين بالإضافة إلى معايشته لأوضاع البلاد السياسية والقدرة على تصوير الوضعية للمسئولين العثمانيين بدقة لتفاصيل أكثر عن محتوى الرسالة انظر: عبد الجليل التميمي: " **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1819**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد6، 1976، ص118.

[2]. عبد الجليل التميمي،" **أول رسالة**..."، المرجع السابق، ص 120 .

[3]Léon Galibert, **l'Algérie ancienne et moderne**, paris, 1844, p174.

[4] Edward Cat, **petite histoire de l'Algérie**, tome 1, Adolphe Jourdan: librairie Editeur, Alger, 1888, p2432.

لقد كان قرار انضمام الجزائر للخلافة العثمانية قرارا طوعيا تم اتخاذه بعد مشاورات شارك فيها علماء الجزائر وصلحاؤها وبعد تحليل الوضع تبّين لهم أن ذلك هو الخيار الأسلم.

بفضل الدعم العثماني تحوّل خير الدين من مجرد أمير للبحر إلى رئيس دولة مرتبطة بالخلافة العثمانية، ومتحالفة معها ضد إسبانيا زعيمة العالم المسيحي، ومما زاد في تعزيز مكانة خير الدين بالجزائر واكتسابه ثقة أهلها هو تصدّيه للحملة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 1519 التي قادها هييغو دي مونكادا (Hugo de Moncada) التي انتهت بهزيمة كارثية للإسبان، حيث تحطّمت 26 سفينة من مجموع 40 وغرق لهم 4 آلاف جندي في البحر فيما وقع 3 آلاف في الأسر منهم 36 ضابطا[1]، وذكر هايدو أن أسباب الهزيمة هي هبوب عاصفة هوجاء أدت إلى تحطم أغلب سفن الأسطول[2] ، وهو ما تداوله العديد من المؤرخين الفرنسيين الذين يرجعون الهزائم الأوربية أمام الجزائر إلى عوامل طبيعية متجاهلين مقاومة الجزائريين وقوتهم العسكرية.

شعر حاكم تونس الحفصي بالخطر الذي يهدد عرشه فركب متن الفساد والفتنة بين نواب خير الدين[3]، كما تجدّدت أطماع حاكم تلمسان لذلك عمل كل من حاكم تلمسان وتونس على توحيد جهودهما ضد خير الدين وذلك بمحاولة استقطاب عاملي هذا الأخير مع المنطقتين الشرقية والغربية، وهما أبو العباس أحمد بن القاضي ومحمد بن علي [4] مما أحدث فتنة في الجزائر اضطر على إثرها خير الدين إلى مغادرة مدينة الجزائر والعودة إلى جيجل التي استقر بها لمدة 5 سنوات (1520-1525) استغلها في إعادة بناء أسطوله ومهاجمة السواحل الأوربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وبعد أن تمكّن من تنظيم

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص ص 36-37.

[2] HAEDO (Fray Diego de**), Histoire Des Rois d'Alger**, trad. par H.-D de Grammont: éditions grand_ Alger livres, Alger, 2004, p45.

[3] أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 11 .

[4] مجهول، المصدر السابق، ص 44.

جيشه فتح القل سنة 1521، ثم عنابة وقسنطينة سنة 1522، وفي سنة 1525 استغل خير الدين نقمة أهالي مدينة الجزائر على ابن القاضي فاتجه بقواته إلى متيجة حيث خاض مواجهات عنيفة ضد قوات هذا الأخير، وقد تمكّن من الإنتصار عليه وبذلك استطاع خير الدين دخول مدينة الجزائر حيث استقبله أهلها بفرح، وبعدها اتجه إلى شرشال لتأديب قارة حسن الذي تمرّد عليه فتمكن منه وقتله، ثم توجه على تلمسان وأخضع حاكمها مولاي عبد الله وأرغمه على دفع ضريبة[1].

بهذا يكون خير الدين قد وّحد الجبهة الداخلية وصار يتحكّم في المنطقة الممتدة من جيجل إلى مستغانم ما عدا قلعة البينيون بمدينة الجزائر وأصبح باستطاعته التصّدي للحملات الإسبانية بقوة .

اتجهت أنظار خير الدين إلى الحامية الإسبانية المتمركزة بحصن البينيون فوّجه مدفعيته نحوها في 27 ماي 1529[2] واستطاع تحطيمه وأوصله بالساحل وأصبح يشّكل رصيف ميناء مدينة الجزائر، فتخلّصت مدينة الجزائر من الضغط الإسباني .

حاولت أسبانيا الانتقام بإرسال حملة أندريا دوريا إلى شرشال سنة 1531 مما اضطر أسبانيا إلى توقيع هدنة مع فرنسا لتتفرغ لتوجيه حملة على شرشال فهّب خير الدين لنجدة المدينة، وفي سنة 1535 استدعاه السلطان العثماني سليمان القانوني وعينّه وزيرا للبحرية .

وقد فتحت هذه الانتصارات مرحلة جديدة أظهرت ملامح الدولة الجزائرية الحديثة التي أثارت مخاوف الدول الأوربية خاصة أسبانيا بعد أن هاجم خير الدين جزر البليار سنة 1536 .

[1] Mouloud Gaïd, **l'Algérie sous les turques**, 2eme Edition: édition Mimouni ,Alger, 1991,pp 50-51 .
[2] HAEDO: Histoire, Op.Cit, p41.

كان تدخل العثمانيين سببا أساسيا في فشل المشروع الإسباني إذ قامت الجزائر بمبادرة غيّرت مجرى التاريخ الإفريقي، إذ تمكّن خير الدين من أن يجعل للجزائر مكانة لدى الدول العظمى واستطاع بناء دولة إسلامية عتيدة وفي إطار العلاقة الإسلامية على أنقاض إمارة ضعيفة[1].

إن تمركز الإسبان في عدة نقاط من الساحل بوهران وبجاية وتدخلهم في شؤون الإمارة الزيانية والقيام بحملات مستمرة فرضت على خير الدين تبني إستراتيجية تقوم على ربط الجزائر بالخلافة العثمانية حتى يكون قادرا على مواجهة خصومه من خلال ضمان مساندة ودعم العثمانيين بغرض الوصول إلى تحقيق أهدافه، كما أن الدولة العثمانية في هذه المرحلة كانت تدرك جيدا أهمية الجزائر في الجهاد ضد الاستعمار الإسباني، وبعد تحقيق ذلك عمل خير الدين على التقرب من رجال الدين وتنظيم دفاعات المدينة بتدعيم الحصون القديمة وبناء حصون جديدة، كما سعى إلى فرض نفوذه على بقية المدن الجزائرية بإرسال الحاميات وتنصيب ولاة من الشخصيات القبلية الموالية له[2].

بفضل الجهود التي قام بها خير الدين تحوّلت الجزائر إلى حصن يصعب اختراقه، وقوة ضاربة في البحر الأبيض المتوسط، فبعد توحيد الجهود مع العثمانيين عملوا على القضاء على ظلم الإسبان ووضع حدا لتجارتهم في البحر وضرب سواحلها، إلى جانب الوقوف على جانب الدولة العثمانية في مختلف الحروب التي خاضتها .

عندما تولى صالح رايس الحكم سنة 1552 خلفا لحسن باشا عمل على إضعاف شوكة السعديين الذين كانوا يتربصون بتلمسان مستغلا الصراع القائم في فاس بين الملك

[1] شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس – الجزائر – المغرب الأقصى**، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، 1985، ص ص 325 – 328 .

[2] Ernest Watbled, "**Etablissement de la domination Turque en Algérie», R.A** N°17, 1873, p 359.

محمد المهدي وأبي حسون المريني فاستطاع احتلال فاس لمدة من الزمن قبل أن يسترجعها الشريف محمد المهدي في 23 سبتمبر 1554[1].

ساهم صالح رايس في توحيد البلاد خاصة بعد أن واجه تمردا من زعماء تقرت وورقلة الذين رفضوا دفع الضريبة إلى السلطة المركزية بالجزائر العاصمة، فخرج في حملة إلى ورقلة وتقرت قوامها 8 آلاف شخص وبمساعدة سلطان بني عباس عبد العزيز استولى على تقرت بعد محاصرتها لمدة أربعة أيام، ثم سيطر على ورقلة دون مقاومة، ومن ذلك الحين التزم سكان المنطقة بالولاء[2] وعلى ودفع الضرائب[3].

سيتم تحرير باقي المناطق على غرار بجاية وقسنطينة باستثناء وهران التي ستبقى خاضعة للإحتلال الإسباني لغاية التحرير النهائي لها سنة 1792م.

ساعد الدعم العثماني بالجنود والسلاح الدولة الجزائرية الفتية التي اتخذت من مدينة الجزائر عاصمة لها على الوقوف في وجه العدوان الإسباني وإفشال مخططاته، وأصبحت إثر ذلك إحدى إيالات الدولة العثمانية[4].

حقّق انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أهدافا سياسية وعسكرية كثيرة أهمها تأمين حدود مصر الغربية وتوسيع ممتلكات الدولة العثمانية دون أن تتحمل تبعات عسكرية أو مالية كبيرة كما تحملت ذلك في مصر والشام[5].

---

[1] محمد مزين،" **الكتابات التاريخية المتعلقة برصد الخطاب المعتمد في علاقات المغرب بالعثمانيين، الفترة السعدية**"، المجلة التاريخية المغربية، جويلية 1983، العدد 29-30، ص459.

[2] عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1409 هـ /1989 م ص185.

[3] Charles Feraud, **« les Beni Djelleb Sultans de Touggourt »,** R.A., 1879, N°23, p.269 -270.

[4] عبد القادر فكاير، **آثار الإحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (10-12هـ/16-18م)** أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص56.

[5] محمد دراج، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)**،ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2012 ص236.

لقد جعلت الدولة العثمانية من الجزائر إيالة ذات وضع خاص لأن طبيعة موقعها وظروفها حولتها إلى قاعدة للوجود العثماني في غرب البحر الأبيض المتوسط.

إن إلحاق الجزائر رسميا بالدولة العثمانية أدى إلى ارتباط سياستها الخارجية بسياسة الدولة العثمانية خاصة في صراعها مع أوربا المسيحية، كما أن بروز الجزائر في ساحة الأحداث الدولية أصبح يؤرق العديد من الدول الغربية انطلاقا من إسبانيا التي سعت إلى القضاء عليها من خلال تكثيف حملاتها العسكرية خاصة البحرية على الجزائر .

ب- استقلالية الجزائر:

تعتبر الجزائر في وضع أكثر استقلالية من حيث ولائها للخلافة العثمانية خاصة في مجال سياستها الخارجية وفيما يتعلق بالتمثيل الدبلوماسي فقد حافظت الجزائر على وضعها القانوني في البحر الأبيض المتوسط[1]، وبفضل موقعها الجغرافي الساحلي والسياسي استطاعت أن تحوّل مدينة الجزائر من مدينة صغيرة ومجتمع قبلي إلى دولة احتلت موقعا دفاعيا قويا للإسلام ضد الهجمات البحرية[2]، ولكن ما يمكن تأكيده هو أنه لم يتم إدراك أهمية الموقع إلا بعد وصول عروج وخير الدين بربروس فاكتسبت مدينة الجزائر وجودها الحقيقي كنتيجة للتنافس الحاصل في شمال إفريقيا منذ سنة 1082م بعد سقوط دولة الموحدين أين خضعت الجزائر لحكم حكام محليين تتقاذفها سلطة حكام تلمسان وبجاية، وعنابة، كما اعترفت تارة بحكم الحفصيين وتارة المرينيين، ورغم هذا التطور فإن الجزائر لم تأخذ شخصيتها شبه الدولية إلا خلال القرن 14 م، أين تحوّلت مدينة الجزائر إلى ميناء تجاري نظّمت من خلاله العلاقات التجارية مع أوربا المسيحية وبعض الموانئ الإسلامية، ثم ارتقى إلى مستوى موانئ وهران طرابلس، تونس، وذلك من خلال نظام ضريبي جمركي سهّل عملية التبادل مع الإمارات الإيطالية، وأمام تزايد الصراعات التجارية بدأت الطبقة البرجوازية

[1] وليام سبنسر وليام، **الجزائر عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق :عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص139.
[2] Sir Godfrey Fisher: **Légende Barbaresque**, Traduit par Hellal (Farida): O.P.U, Alger, 2000, p 41.

(التجار) في الجزائر في التفكير في استحداث نظام سياسي يكفل لهم الحماية فعقدوا اتفاقية مع عرب قبيلة الثعالبة المستقرة بالمتيجة لحمايتهم ضد العدو والاحتلال مقابل جزية وتنازلات تجارية ورغم ضعف بحريتها في مواجهة بحرية قرصان سردينيا، وصقلية وجزر البليار، فإنها تمكنت من الرد التدريجي على هذه الهجمات باستعمال الموانئ الجانبية كميناء مهدية ومستغانم، المرسى الكبير وعنابة، وظلت الإدارة ذات الطابع القبلي أكثر من مؤسسة دولة لها القدرة على القيام بالتزاماتها الدولية في إطار علاقاتها الخارجية إلى غاية القرن15م[1].

ساهمت مجهودات خير الدين بربروس والظروف الدولية والأوضاع المحلية في أن تصبح الجزائر دولة ذات سيادة كاملة وتتمتع بكل الصلاحيات في ممارسة علاقاتها الخارجية وقد شغل إزدهار الجزائر فكر معظم الدول الأوربية لذلك وجدت الجزائر نفسها مجبرة على التصدي للخطر الصليبي الذي تقوده أيضا إسبانيا وذلك من خلال مدّ يد العون لمسلمي الأندلس سواءا في ثوراتهم ضد السلطة المسيحية أو تأمين خروجهم وهجرتهم إلى الدول الإسلامية هذا بالإضافة إلى عمله على ملء الفراغ الذي تركته الخلافة في المتوسط بالتعاون مع بحرية البلدان المغاربية الأخرى خاصة تونس وليبيا[2]، ببناء علاقات دولية ثابتة المعالم تبرز من خلالها الوضعية القانونية لإستقلالها تجعل من الجزائر غير قابلة نسبيا للاختراق بنوع من التوازن في غرب المتوسط[3].

جـ- مكانة الجزائر الدولية:

[1] رشيد بورويبة وموسى لقبال وعبد الحميد حاجيات وعطا الله دهينة ومحمد بلقراد، **الجزائر في التاريخ**، ج 3، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص7-25 .

[2] جمال قنان، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات المتحف الوطني للجهاد، الجزائر، 1994، ص ص 38- 39.

[3] وليام سبنسر، **الجزائر عهد رياس البحر**، المرجع السابق، ص25 .

منذ ظهور الدولة الجزائرية الحديثة في مطلع القرن 16م وجدت نفسها بحكم موقعها ومهامها[1]، وبحكم الصراع القائم في البحر باعتبارها دولة بحرية قريبة من موقع الخطر المتمثل في أوربا الصليبية بقيادة إسبانيا مجبرة على بناء قوة بحرية تمكنّها من احتلال مكانة والدفاع عن وجودها، خاصة بعد الاضطراب الذي شهده البحر الأبيض المتوسط نتيجة الحروب التوسعية الإسبانية في أوربا وشمال إفريقيا .

من العوامل التي ساهمت في بروز أهمية مدينة الجزائر وتصاعدها السريع هو قرار السلطة العثمانية استخدام الأراضي الإفريقية كقواعد في صراعها ضد الدول المسيحية لذلك وجّهت اهتمامها بالدرجة الأولى إلى استرجاع موانئ شمال إفريقيا المحتلة من طرف الأسبان ثم تشكيل قوة بحرية بمثابة إستراتيجية للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط ثم القضاء على القوى البحرية المسيحية ووضعها كآلية للحرب المقدسة الجهادية التي اعتنقها العثمانيون بشدة [2].

إذا كانت السلطة العثمانية قد ساهمت في ظهور مدينة الجزائر قوة برية وبحرية، فإنه قد ثبت أن القوة البحرية الجزائرية كانت أفضل من البحرية العثمانية قبل تولي خير الدين قيادة الأسطول، كما أصبح لمدينة الجزائر دور حضاري في البحر الأبيض المتوسط، وسياسي سواء في إطار السياسة الخارجية العثمانية أو في القدرة على مواجهة الحملات المستمرة للأوربيين ومحاولاتهم عزل الجزائر دوليا خاصة بعد أن أصبحت مركز لأكثر الجيوش نجاحا في الخلافة، وكان عامل عظمة الجزائر في موقعها ووضعيتها إذ كانت دائمة اليقظة، استطاعت أن تأتي بالاستقرار لشمال إفريقيا كما أدخلت عناصر الحضارة العثمانية إلى غرب المتوسط، فقد تحولت الجزائر إلى دولة تتمتع بأهمية في ظل تنامي أهمية البحر الأبيض المتوسط كمعبر تجاري كما شكلت الجزائر بالنسبة للخلافة العثمانية

---

[1] جمال قنان، **قضايا ودراسات**، المرجع السابق، ص 33.

[2]. جمال قنان، **قضايا ودراسات**، المرجع السابق، ص ص33-36 .

نموا وفقا لدورة خاصة حيث تحوّلت من منطقة تدين بالولاء إلى الخلافة إلى دولة مستقلة حافظت على العادات والتقاليد والاتفاقيات .

الحكم العثماني في تونس

رأى العثمانيون ضرورة ضم تونس في ظل ضعف الحكم الحفصي وتزايد الحملات الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا ، فبعد وفاة أبو عبد الله محمد الخامس(1493-1526م) سنة 1526م خلفه ابنه أبو عبد الله الحسن الحفصي(1526-1543م) الذي اشتهر بسفكه للدماء وضجر منه السكان لكثرة ظلمه، مما سيمهّد الظروف للعثمانيين لضمها في ظل تزايد التحرشات والإعتداءات الإسبانية.

1- جهود خير الدين بربروس في مواجهة الإسبان: كُلّف خير الدين بالعمل على ضم تونس ووضع حد للنفوذ الإسباني، فأبحر إلى استانبول في أواخر سنة 1533م بدعوة من السلطان سليمان القانوني للاتفاق على الإجراءات العسكرية لفتح تونس، وصد هجمات أندريا دوريا الجنوي (Andrea Doria)(1466- 1560م)، ويتّضح من ذلك أن السلطان العثماني اتخذ قرار فتح تونس بغية ضمان أمن مصر وحمايتها من المخاطر المحدقة بها من جهة،

وفرض السيطرة العثمانية على السواحل الشمالية لإفريقيا من جهة أخرى[1].

مع بداية صيف سنة 1534م خرج خير الدين بمراكبه قاصدا فتح تونس، وفي طريقه عرج على مالطة وبعض موانئ جنوب إيطاليا لغزوها، مموها بذلك الإسبان حتى لا يدركوا وجهته ألا وهي فتح تونس. ثم توجه بأسطوله نحو بنزرت واستولى عليها، ودخل أهلها في طاعته وأقام بها الدعوة العثمانية على المنبر ثم قصد تونس في أوائل سنة 1535م، وأعلم الأهالي بقدومه لعزل السلطان الحفصي مولاي الحسن، وكان الأهالي ناقمين عليه لميله لشارل الخامس، ونصب الحسن الرشيد مكانه وبذلك فرض سيطرته على تونس وحلق الوادي.

لا شك أن إقدام خير الدين على فتح تونس كان نابعاً من موقف سلطان تونس المعادي له إلى جانب اتساع نفوذه في الناحية الشرقية من الجزائر، أضف إلى ذلك تخوفه من التدخل الإسباني، الذي كان يحتل طرابلس الغرب في شرق تونس وبجاية في غربها، مما يساعد على تدعيم التواجد الإسباني في المدن الساحلية للمغرب الإسلامي.

عملت إسبانيا على إستغلال الفرص لمهاجمة تونس وطرد العثمانيين لإدراكهم خطورة وصولهم إلى الحوض الغربي للمتوسط والسيطرة عليه وتكوين إمبراطورية واسعة والذي يدخل في الإستراتيجية العثمانية، وهو يشكّل في نفس الوقت تهديدا مباشرا للبابوية والإمارات الإيطالية وبالأخص صقلية، ونابولي، إضافة إلى مالطة، وكذلك طرابلس الغرب التي كانت بيد فرسان مالطة، إلى جانب تهديده المصالح التجارية الإسبانية في البحر الأبيض المتوسط لأن التجارة ستكون تحت السيطرة العثمانية[2].

توجّه شارلكان على رأس حملة كبيرة باتجاه ساحل الشمال الإفريقي، حيث اشترك في هذه الحملة فرسان مالطة، والبحرية البابوية، وشكّلت القوات الإسبانية الجزء الأكبر في

---

[1] فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العصر العثماني- أواسط القرن التاسع عشر)**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 577.

[2] فاضل بيات، المرجع السابق، ص 577.

الحملة، وتم شحن وتجهيز هذه الحملة في الموانئ التابعة للبحرية الإسبانية في كل من جنوة ونابولي، وصقلية، وأحاطت إسبانيا هذه الاستعدادات بسرية تامة، وذلك من أجل مفاجأة القائد خير الدين وأسطوله.

رسى الأسطول الإسباني قرب حلق الوادي في جوان1535م وبدأت قواته البالغ تعدادها 400 سفينة منها تسعون سفينة كبيرة، و26000 جندي تقصف في القلعة بما يقارب 151 مدفعاً، وكانت قوات مولاي الحسن تشارك إلى جانب القوات الإسبانية في حصار المدينة وقد وقعت تونس بيد الإسبان في جويلية 1535م[1].

إقترفت القوات الإسبانية اقترفت مجازر رهيبة في المدينة وأسروا نحو عشرة آلاف ما بين النساء والأطفال، كما قاموا بتهديم المدارس والمساجد وأحرقوا الكتب ونهبوا المدينة، وقبل الإنسحاب منها تركوا فيها قوة عسكرية قوامها أربعة آلاف جندي، كما قاموا ببناء قلعة حصينة في ميناء حلق الوادي.

أما إدارة الإقليم فولوا عليها مولاي الحسن، ولكن تحت إمرتهم، وكان الحسن الحفصي قد أعلن الأمان للناس إذا هم تخلوا عن المقاومة إلى جانب خير الدين، ولكن هذا الأمان كان مناورة منه أو بالأحرى مفروضا عليه إعلانه، وبالرغم من ذلك فقد نفّذ الإسبان ما وعدوا به إذ أورد أحمد بن أبي ضياف ما مفاده: ﴿ أّن الصبنيول اشترطوا على هذا السلطان الحسن استباحة البلاد ثلاثة أيام والتزم له بذلك، فبينما النّاس في سكون وعافية واغترار يجلب ذلك الأمان، وأسواقهم مفتوحة، إذ هجم عليهم عسكر الصبنيول على حين غفلة وامتدت أيديهم لاغتيال النفوس ونهب الأموال، وفر إلى جبل زغوان من أمكنته الفرصة بنفيه وأهله﴾[2].

---

[1] مرمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون،ج2، الرباط، 1989، ص 54.

[2] ابن أبي ضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص14.

قرّر القائد خير الدين الخروج خارج الأسوار ليقاتل المهاجمين الإسبان وترك في المدينة لجعفر آغا [1](وهو نصراني اعتنق الإسلام)، إلا أن هذا الأخير ارتد عن الإسلام وقام بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين، واستولى على القلعة، ثم أقدم على إطلاق نار المدافع على المسلمين، إزاء هذا قرر خير الدين التخلي عن الهجوم، وآثر الانسحاب إلى بونة عن طريق البر[2].

من الأسباب التي جعلت خير الدين غير قادر على صد العدوان الإسباني هي إنشغال السلطة العثمانية بحروبها في المجر والنمسا مما استحال عليهم إرسال قوات لدعم خير الدين في حربه ضد الإسبان، وأنها لم تتجه بعد بكل ثقلها إلى البحر المتوسط، وهذا ما منعهم من إرسال قوات كبيرة إلى الجزائر وتونس، بالإضافة إلى أن خير الدين كان مدركا لقوة خصمه القادم عليه، ولهذا فمن المحتمل أنه كان يحاول الإحتفاظ بالجزائر، وأنه كان يخشى أن يقع بها نزول إسباني رغم أنه أطال الصمود أمام قوات شارل الخامس وبذلك يخسر تونس و الجزائر معا[3].

أعلن خير الدين نهاية الحكم الحفصي وتبعية تونس للحكم العثماني، وفي هذا الوقت جهّز شارل الخامس حملة كبيرة قادها بنفسه أقلعت من برشلونة في ماي 1535م مكوّنة من 450 سفينة انضم إليها الحسن الحفصي، ورغم ضخامة الحملة إلا أن خير الدين قرّر التصدي لها، إلا أنه لم يتمكّن من الصمود بسبب شدة القصف فتراجع فدخل الإسبان تونس، وقدّم الحسن الحفصي يمين الولاء لشارل الخامس وقبل أن يحكم تونس بإسم شارلكان وتحت حمايته وتنازل عن حلق الوادي وبنزرت والمهدية وقرطاجة، ومنح الإسبان حق الإقامة والتجارة وممارسة شعائرهم الدينية دون تضييق.

---

[1] إبراهيم سعيود، الأسرى **المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص 77.

[2] فاضل البيات، المرجع السابق، ص578.

[3] محمد العروسي المطوي، **السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986، ص ص 698- 699.

2- العثمانيون في مواجهة التوسعات الإسبانية: إن نشاط حركة الجهاد البحري جعلت شارلكان يجهّز حملة للقضاء على نفوذ العثمانيين من الشمال الإفريقي، فجهّز حملة سنة 1541م قادها أندريا دوريا التي تمكّنت من النزول بالميناء لكن مجيء العاصفة القوية فرض تراجع الحملة، فاستغل حسن باشا الوضع للهجوم عليهم إلى جانب سكان البلاد، وبذلك إنتقم العثمانيون من الإسبان وما فعلوه في تونس من سلب ونهب لكن هزيمة الإسبان في الجزائر جعلتهم يوجّهون أنظارهم إلى تونس حيث استطاع أندريا دوريا الإستيلاء على عدة مدن كسوسة وصفاقس والمنستير مما أثار السكان ضد بني حفص فرحل حسن الحفصي وطلب مساعدة الأوربيين، وفي هذا الوقت ظهر درغوث باشا(1485-1565م) الذي اتخذ من طرابلس الغرب قاعدة عسكرية له واستولى على ميناء قفصة سنة 1556م، وتوغّل حتى وصل القيروان وأقام بها حامية سنة 1558م، ثم وطّد نفوذه على كل الجنوب التونسي، لكن ملك إسبانيا الجديد فيليب(1556- 1598م) عمل على القضاء على درغوث باشا وقاد الأسطول العثماني بيالي باشا(1515- 1578م) لكن انهزمت الجيوش الأوربية في جربة سنة 1560م فتزايدت قوة درغوث باشا.

3- تونس إيالة عثمانية: بقيت الأوضاع على ماهي عليه إلى أن تولى علج علي (1568- 1571م) الحكم في الجزائر حيث قاد حملة لتخليص تونس من الحكم المتعاون مع الإسبان وتمكّن من دخول تونس سنة 1569م أين أخذ البيعة للسلطان العثماني، وبعد تقوية الحامية غادر تونس سنة 1570م.

بعد معركة ليبانتو عيّن قلج علي قائدا للأسطول العثماني مع إحتفاظه بلقب بيلرباي الجزائر، وكلّف بإعادة بناء الأسطول العثماني وتشكيله بشكل أفضل، وفي سنة 1574م

توجّهت قوات من الجزائر والقيروان وطرابلس الغرب وانضمت إليها قوات بقيادة سنان باشا إلى حلق الوادي وتمكّنوا من دخولها وإحتلال قاعدة الإسبان[1].

واصل سنان باشا زحفه للسيطرة على تونس التي لم تصمد أكثر من ستة أيام بسبب الحصار الشديد الذي فرض عليها[2]، ثم تمكّنوا من إخضاع باقي الأقاليم التونسية وإعلان نهاية الحكم الحفصي سنة 1574م، ونقل آخر سلاطينه إلى إسطنبول وبذلك أصبحت تونس إيالة عثمانية منذ سنة 1574م وعيّن سنان باشا واليا عليها.

4- الحكم العثماني في تونس: بعد تعيينه على رأس إيالة تونس أنشأ سنان باشا(1574-1576م) ديوانا يجمع مسؤولين لتسيير شؤون البلاد وخدمتها[3]، لكن بعد فترة ثار صغار الجند ضد رؤساء الديوان سنة 1591م بسبب جورهم وظلمهم وبدأ معها عهد الدايات الذي يمتد بين 1591-1640، والذي عرف نشاطا ملحوظا في جميع الميادين واستفاد منه الدايات لتدعيم نفوذهم، وبعدهم البايات المراديون لإرساء حكمهم[4].

مع بداية القرن 17م تعاظم نفوذ البايات في ظل تراجع قوة الدايات، وأعلن المراديون (1631- 1702م) ولائهم للسلطان العثماني وعيّنوا أنفسهم بايات مكان الدايات[5]. يعتبر مراد كورسو (1628-1631م) مؤسس هذه الأسرة وأصبح الحكم وراثيا من بعده، وتوطّدت سلطة الباي، كما عرفت البلاد عهد المراديين إزدهارا وإنتعاشا في الزراعة والصناعة، واهتم البايات بالمشاريع العمرانية، لكن في نفس الوقت عرفت البلاد الكثير من الفتن والإضطرابات

---

[1] ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1268هـ، ص ص176-177.

[2] عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص254.

[3] ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 27.

[4] فاطمة زهراء آيت بلقاسم، " **الحكم العثماني في الجزائر وتونس، دراسة مقارنة** "، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، المجلد2، العدد4، جانفي 2017، ص42.

[5] فاطمة زهراء آيت بلقاسم، المرجع نفسه، ص42.

خاصة في عهد إبراهيم الشريف الذي عرف عهده كثرة الحروب خاصة مع طرابلس الغرب والجزائر هذه الأخيرة التي هزمت جيشه وانتهى معه عهد الأسرة المرادية[1].

بعد هزيمة إبراهيم الشريف عرفت البلاد الفوضى مما أدى إلى تعيين حسين بن علي بايا[2] على تونس، والذي يبدأ معه عهد الأسرة الحسينية التي يمتد حكمها بين 1705-1881م إلى غاية بداية عهد الإستعمار الفرنسي في تونس سنة 1881م.

الحكم العثماني في طرابلس الغرب

مع مطلع القرن 16م كانت طرابلس الغرب منطقة إستراتيجية لحركة التجارة داخل إفريقيا وهو ساحل مهم لتأمين التجارة والنقل في عرض البحر الأبيض المتوسط،كما أن قربها من مالطا منحها أهمية عسكرية حيوية وجعلها محل أطماع خارجية في ظل إضطراب أحوالها الداخلية فقد كانت تتبع السلطة المركزية في فترات السلطان الحفصي وفي فترات أخرى تنفصل عنه فطمع فيها الإسبان لأهميتها الإستراتيجية مستفيدين من هذه الظروف.

---

[1] رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782- 1814، مج2، منشورات الجامعة التونسية، 1980، ص49.

[2] **حسين بن علي:** هو من جزيرة كريت، قدم والده إلى تونس في عهد الأسرة المرادية، تقلّد حسين بن علي عدة وظائف حتى انتخب بايا على تونس، وامتد عهده بين 1705- 1740، ينظر: أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص85.

1- طرابلس الغرب تحت سيطرة الإسبان وفرسان مالطا وبروز درغوث باشا[1]: في ظل الأوضاع المضطربة تمكّن الإسبان من إحتلال طرابلس الغرب سنة 1509م، وبتدخل الكنيسة تم إستبدال الجيوش الإسبانية في طرابلس الغرب بفرسان مالطا ووضعت طرابلس الغرب تحت عرش صقلية وصادق البابا كليمنت السابع **(Clement VII)** (1523-1534م) في 1530/04/25م على ذلك، ودعّم فرسان مالطا الإسبان في مواجهتهم للعثمانيين، وفي هذه المرحلة برز درغوث باشا الذي عمل على تأسيس إمارة تكون قاعدة له وبحث عن المكان المناسب ورأى أن السواحل الشرقية لتونس مناسبة خاصة وأنها ليست بيد النصارى، فاتجه إلى المهدية سنة 1532م ودخلها بسهولة لكره سكانها لحكامها المحتمين بالنصارى فأسس إمارة بين 1532 – 1549م واتخذها قاعدة لضرب الموانئ الإسبانية وعرقلة النشاط الأوربي لذلك عمل شارلكان على إسترجاعها سنة 1549م ثم سلم الحسن الحفصي المهدية للإسبان.

2- جهود العثمانيين ودرغوث باشا ضد الإسبان: بعد إستيلاء الإسبان على المهدية اتجه درغوث باشا إلى المياه العثمانية سنة 1550م والتقى سنان باشا القائد العام للأسطول العثماني الذي لاحظ تنظيم وسرعة مراكب درغوث باشا وفكّر في ربط خدماته بالدولة العثمانية، فاتجه إلى إسطنبول والتقى سليمان القانوني وأعلمه بالسياسة الإسبانية وخطرها فقرّر السلطان إرسال حملة بالإستفادة من خبرة درغوث باشا.

كان ردّ السلطة العثمانية على استيلاء الإسبان على المهدية سريعاً وحاسماً حيث وافق السلطان سليمان القانوني على اقتراح درغوث باشا، الذي يقضي بطرد فرسان مالطا

[1] **درغوث باشا:** ولد سنة 1485 أصله من الأناضول عمل بحارا تحت التدريب ثم بحارا محترفا استطاع أن يجذب إليه الأنظار بغزواته الناجحة ومكّنته خبرته وشجاعته من التعرّف على خير الدين بربروس الذي عيّنه نائبا له مما هيأ له الفرصة لإبراز وتأكيد شخصيته، استشهد أثناء الحملة الموجّهة ضد فرسان مالطا سنة 1565م، ينظر: كوستانزيو برنيا، **طرابلس 1510- 1850**، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ط1، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، بنغازي،1985، ص37، محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 171.

من طرابلس الغرب[1]، لأن انضمامها يعدُ حلقة إكمال للنفوذ العثماني على أقطار شمال إفريقيا ومن جهة أخرى إنقاذ المسلمين من السيطرة الصليبية ومن حركة التنصير التي كان يسعى إليها الإسبان[2].

أمر السلطان العثماني بتجهيز حملة مهمتها تحرير طرابلس الغرب وطرد فرسان مالطا منها[3]، وتم الإستعداد لها بسرية تامة انتهت قبل الصيف سنة 1551م[4]، وتكوّن الأسطول من 150 سفينة شراعية[5]، وتذهب بعض المصادر إلى أن الأسطول العثماني كان مؤلفاً من 140 سفينة وقوة من 10 فارس ومن بينهم 3000 جندي إنكشاري[6] .

خرج الأسطول بقيادة سنان باشا[7] قائد الأسطول العثماني يسانده صالح رايس[8] والي الجزائر ودرغوث باشا الذي أسندت إليه قيادة بعض السفن الأخرى[9]، بعدما عيّنه السلطان

---

[1] رابحة محمد خيضر، "**القائد سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس**"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج18،ع01، الموصل ، ص160

[2] عبد المنعم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع, عمان، 2014، ص28

[3] مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (الجزائر تونس المغرب ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، برج بوعريرج، 2013، ص22.

[4] نقولاي إيفانوف، **الفتح العثماني للأقطار العربية**، ترجمة: يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص224

[5] إيتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا**، تق:خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،1985، ص76.

[6] جان كلود زليتنر، **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500-1795**، تر:جاد الله عزوز الطلحي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 2001، ص175.

[7] **سنان باشا:** قائد وبحار عثماني خاض العديد من الحروب البحرية على الأسطول العثماني ساهم في تحرير اليمن وطرابلس وتونس وإخضاعهما للدولة العثمانية للمزيد ينظر: رابحة محمد خيضر، المرجع السابق، ص352

[8] **صالح رايس:** قائد وبحار عثماني أصله من الإسكندرية شارك في العديد من الحروب البحرية العثمانية تولى منصب بايلرباي الجزائر مابين 1552-1556 توفي أثناء حصاره لوهران، ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**،ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص ص 291- 313.

[9] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق للنشر والتوزيع، ج02، دمشق، 2000، ص 161.

العثماني بمنصب قبطان على 50 سفينة[1]، وكانت هذه بداية عمله الرسمي في الدولة العثمانية[2]، وفي هذه الأثناء علم فرسان مالطا بقرار السلطان العثماني، فأصابهم الذعر والإرتباك وطلبوا من نائب ملك صقلية إمدادهم بالجنود والعتاد[3] ، وجاء إلى حكم طرابلس الغرب جاسباري دي فالليس أوفاليرس(GaspareDeVallies O Devallie) الذي كان مارشالاً في المنظمة، عزم على الإلتزام بالنظام وحماية القلعة والبلاد والحصون[4] .

تمكّن الأسطول العثماني في 13 من شهر جويلية من المرور بالقرب من مسينا المحاذية على الساحل الصقلي[5]، ثم قام سنان باشا بإرسال رسالة إلى نائب ملك صقلية يطلب منه تسليم مدينة المهدية، فرفض نائب ملك صقلية، حينئذ قرّر سنان باشا فرض حصاره على مالطا[6]، وتمكّن بالفعل الأسطول في 18 جويلية 1551 من الظهور أمام مالطا[7].

نظرا لقوة حصونها وضخامتها التي ستستغرق وقتا طويلا لإحتلالها قرّر سنان باشا عدم محاصرتها ، فحاول درغوث رايس إقناعه وتسهيل الأمر عليه لكن أقرّ سنان بحجة أن مهمته تحرير طرابلس الغرب من قبضة فرسان مالطا[8].

---

[1] رابحة محمد خيضر، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني، مرجع سابق، ص120

[2] جان كلود زليتنر,مرجع سابق, ص174

[3] محمد علي عامر ومحمد خير فارس, المرجع السابق, ص161

[4]إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، مصدر سابق، ص71

[5] جان كلود زليتنر,مرجع سابق، ص176

[6] شافعي درويش، "**العلاقات بين طرابلس الغرب وإسبانيا خلال القرن 16م**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد19، غرداية، 2013، ص160

[7] إبن غلبون الطرابلسي، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تح: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، دار المدار الإسلامي، ط01، بيروت، ،2004، ص159.

[8] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص162

توجه إلى جزيرة قوزو(Gozo) وأنزل جنوده بها، استطاع أن ينهبها وأخذ 5000 أسيراً منها[1]، ومن ثم اتجه بأقصى سرعة إلي طرابلس الغرب بعدما علم أن قائد الأسطول الإسباني أندريا دوريا في طريقه لمساعدة الفرسان بجيش وأسطول كبيرين[2]، لكن هذا الأخير لم يستطع الوصول قبل سنان باشا الذي تحطمت له ثماني سفن أثناء العاصفة وأمام ضعفه هيئ لسقوط طرابلس الغرب [3].

توقّع حاكم طرابلس الغرب فالييس هجوماً معادياً فأرسل إلى مجلس الهيئة بمالطا إلى المرشد الأكبر دوميدسي يلح عليه في الحصول على المزيد من المساندة العسكرية[4]، فأرسلت المنظمة بصفة عاجلة إلى طرابلس الغرب غوليلمو كوبير(Coupier) كنائب للحاكم، ومعه 25 فارساً وفرقة من الجنود الذين جندوا بسمينا[5].

وفي 05 أوت 1551م ظهر الأسطول العثماني أمام طرابلس الغرب، التي هي الهدف الرئيسي للحملة، ونزلوا بتاجوراء حيث يتواجد مراد آغا، وكانت قواتهم تتألف من 10.000 جندي من بينها 3500 إنكشاري مع عدد كبير من القطع المدفعية ومعدات الحصار[6] .

أما مراد آغا فكان قبل ذلك قدّ استولى على مركبين قرصنة كانا قادمين من مالطا إلى حاكم فالييس محملة بالمؤن والعتاد[7]، إضافة إلى المناضلين الذين جمعهم، وإستطاع أن

---

[1] نقولاي إيفانوف، مصدر سابق، ص224

[2] عزيز سامح ألتر، المرجع السابق ، ص50

[3] جون وولف، **الجزائر وأوروبا 1500–1830**، تح: أبو قاسم سعد الله, عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص68.

[4] كوستانزيو برنيا، **المرجع السابق**، ص42.

[5] إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الاسبان وفرسان مالطا، المصدر السابق، ص71

[6] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص224

[7] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص43

يزود الجيش ب 200 من الفرسان و600 من الذخائر[1]، فاستعد لاستقبال سنان باشا ورسم بالإتفاق مع درغوث خطة عمل لتحرير طرابلس الغرب[2].

وأمام هذه القوة لم يكن فرسان مالطا قدّ أخذوا جميع احتياطاتهم الكافية للتصدي لهذه الحملة كما أن التعزيزات التي بعثها المرشد الأكبر لمنظمة الفرسان بمالطا كانت ضعيفة على الرغم من معرفته بحجم الحملة العثمانية المتوجّهة إلى طرابلس الغرب[3]، والواقع أن حامية الفرسان كانت معزولة عن الإستنجاد الخارجي لانشغال الأمراء بحروبهم الداخلية[4].

وكانت حامية المنظمة مجهزة بما فيها من وسائل الدفاع حوالي 100 من الفرسان و 200 جنود من إيطاليا و500 من جنود صقلية ورودس ومالطا وبعض مئات من السكان الموالين لهم[5].

أ- الحصار العثماني وبداية الهجوم:

بعد أن أمضى سنان باشا وقتاً كافياً في تاجوراء في التخطيط وتركيز جهوده وتنسيقها بالإتفاق مع مراد أغا[6]، بدأت أعماله التمهيدية في فرض الحصار يوم 06 أوت 1551م وانظم إليه العديد من المناضلين الطرابلسيين[7]، ثم أخذ في إنزال الجيوش والمدافع إلي البرّ

---

[1] جان كلود زليتنر،المرجع السابق، ص176

[2] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص43

[3] شافعي درويش، العلاقات بين طرابلس الغرب واسبانيا خلال القرن 16م، المرجع السابق، ص120

[4] أحمد سالم، **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص132.

[5] إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، مصدر سابق، ص76

[6] إيتوري روسي، نفسه، نفس الصفحة.

[7] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص178

ورتب الجيش وأحاطه بتاجوراء من كل ناحية[1]، وشرع المناضلين فوراً باتخاذ الاستعدادات وأوكلت لهم مهمة حفر الخنادق ونشر بطاريات المدافع[2] .

كوّن سنان باشا فكرة عن تحصينات القلعة فاضطر إلى مناوشة العدو براً حيث كان من المستحيل الوصول إلي الميناء الذي يطل على الواجهة الشمالية من البحر[3]، لأن حصن كاستيلجو (Castellago) الذي أقامه الإسبان كان يعيق مرور السفن العثمانية إلى الميناء[4]، لكن كان عليه أن يحاصر القلعة براً وبحراً فاتخذ الأسطول مواقفه من البحر بقيادة درغوث رايس من ناحية الشمال[5]، وركز سنان باشا قوة جيشه في الجهة الشرقية، أما"مراد آغا" فتركز وما معه من القوات الموجودة تحت تصرفه بجنوب الشرقي من القلعة[6]، كما قاموا بتحصين مدينة زواره الواقعة غرب طرابلس الغرب بالقرب منها، وأقاموا الخنادق وفقاً لحركة هجومية شاملة معززة بقصف مدفعي متواصل عن طريق البر[7].

كانت حامية الفرسان بقيادة حاكم طرابلس الغرب فالييس وفي أمرته 300 فارس مالطي وقرابة 600 مرتزق إيطالي وحوالي 100 عسكري من السكان الموالين لهم[8]، وتم تحصين القلعة برا وبحرا وجهّزت القوات بالمؤن والذخائر التي وصلت من مالطا، كما

---

[1] إبن غلبون الطرابلسي, المصدر السابق, ص195

[2] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص225

[3] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص177

[4] إيتوري روسي، المصدر السابق، ص77

[5] محي الدين حسن عرار، **معارك إسلامية**، دار الإعصار الإعلامي للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص346

[6] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص43

[7] شافعي درويش، العلاقات بين طرابلس الغرب واسبانيا خلال القرن 16م، المرجع السابق، ص194

[8] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص225

حصّنت الأسوار ودعمت بالمتاريس الترابية وأقيمت التحصينات في الشوارع لحماية المدافع[1].

رغم استكمال جميع الإستعدادات لم يتم صدور الأمر بالهجوم من سنان باشا لانتظار الردً من فرسان مالطا[2]، حيث وجّه إنذاراً إلى حاكم طرابلس الغرب وقائد الفرسان فالييس طالباً منه الإستسلام ومنحه الأمان وتسليم البلاد[3]، فكتب له رسالة يقول فيها:﴿ استسلموا لرحمة السلطان الذي أمرني بإخضاع هذه البقعة تحت طاعته ولسوف أمنحكم الحرية والحياة والممتلكات العائدة إليكم وإلا فإنني سأمرركم جميعاً تحت حدّ السيف﴾[4]، فرفض فالييس قائلاً بشجاعة :﴿ لقدّ كلّفت هنا بأمرّ من المرشدّ الأكبر ولن أسلم المكان إلا بناء على أمره﴾[5]

وعليه قررّ سنان باشا مهاجمة طرابلس الغرب، وما إن بدأ الحصار جاء دارمونت (Darmont) السفير الفرنسي إلى السلطان سليمان القانوني، وقد كان قد مر بمالطا عندما استدار سنان باشا بأسطوله إلي طرابلس الغرب، فتوسّل إليه في ذلك الوقت المرشد الأكبر بأن يستغل علاقات الصداقة القائمة بين فرنسا والعثمانيين للتفاوض مع سنان باشا بالانسحاب من خطته، واتجه فعلاً إلى طرابلس الغرب يرافقه سكرتيره الفرنسي نيكولاي دي نيكولاي [6]، واستقبله سنان باشا باحترام كبير وتوسّل إليه باسم ملك فرنسا صديق السلطان العثماني أن يعدل عن مشروعه، لكنه قدّ جاء متأخراً حيث أن الحصار كان قد بدأ[7] .

---

[1] جان كلود زليتنر،المرجع السابق، ص177

[2] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي للنشر والتوزيع، ط4، لبنان،2004 ، ص195.

[3] محمد علي عامر ومحمد خبر فارس، المرجع السابق، ص162.

[4] شارل فيرو، ، ص92.

[5] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص178.

[6] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص42.

[7] شارل فيرو، المرجع السابق، ص92.

كان سنان باشا متردداً في قبول عرضه وذلك أنه منذ أن طرد سليمان القانوني الفرسان من جزيرة رودس لم يلتزموا بالإتفاق الذي كان قائماً بينهم، حيث عاهد الفرسان بعدم القيام بأي نشاط بحري ضد التجارة العثمانية في مقابل الجلاء عن حصنهم في جزيرة رودس بالشرف الحربي، ولكن الفرسان لم يلتزموا بهذه المعاهدة موضّحين أن سليمان القانوني في الواقع لم يمنحهم حق الجلاء بشرف من الجزيرة[1] .

وفي الأخير قرّر سنان باشا رفض مطلب دارمون وأجابه بأن السلطان يرغب في الاستيلاء على طرابلس الغرب بأي ثمن لأن فرسان مالطا كانوا قدّ ساعدوا ملك إسبانيا في الإستيلاء على المهدية وانتزاعها من درغوث، وأنهم مازالوا على سعيهم في القيام بالحروب ضد المسلمين[2]، فحاول السفير الفرنسي التوجه إلى إسطنبول للحصول على عفو لفرسان مالطا لكن سنان باشا منعه من مغادرة تاجوراء قبل الإنتهاء من العمليات الحربية[3]، إزاء هذا الوضع لم يكن أمام السفير من أمل إلا الحصول على شروط التسليم مشرفة للفرسان الذين لم يعدّ بوسعهم المقاومة لمدة أطول[4].

اقترب الهجوم العثماني من القلعة في 08 أوت 1551م تحت حماية الحواجز، وقاموا بتركيز قواتهم جنوب شرقي القلعة أمام حصن القديس يوحنا وحصن القديس جورج[5] من جهة المدينة[6]

---

[1] جون وولف، المرجع السابق، ص68.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق، 92.

[3] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص162.

[4] جان كلود زليتنر،المرجع السابق، ص178

[5] **حصن القديس يوحنا وحصن القديس جورج:** أنشئه الإسبان من جهة المدينة على الركن الشرقي المطل للبحر المحاذي لتحصينات الجهة الجنوبية الشرقية، كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص29.

[6] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص44.

كانت مدفعيات الحصار العثماني تحت إمرة درغوث ومراد آغا، وكان صالح رايس قرب البحر على بعدّ 150 خطوة من القلعة، ودرغوث في الوسط ومراد آغا على يساره، وكانت كل المدفعيات الثلاث مكوّنة من ثلاث قطع مدفعية، وكان جنود الانكشارية على يسار الخنادق مستعديين وبأيديهم أقواسهم وسهامهم وتروسهم[1] .

انطلقت أولى طلقات المدفعية العثمانية التي كانت ترُد عليها مدفعية العدو في القلعة ردًا فتاكاً، تعرّض من خلاله العثمانيين إلى خسارة أربعة من أحسن مدفعياتهم واثنين من الشاش وبعض الرياس وعدد كبير من إنكشارية، وفقدّ المفوض العام للجيش يده بعد إصابته بقذيفة المدفع[2].

لم يستطع الفرسان في 09 أوت 1551م الصمود أمام القوات العثمانية، فبدأوا بالإنسحاب من القلعة بسبب قلة الماء، واتجهوا إلي الخنادق للتزود بالماء من البئر من جهة حصن القديس جورج الذي يحمي المدينة، في حين كان العثمانيون يدفعون مدافعهم باتجاه القلعة حتى أصبحت على بعد 30 خطوة منهم[3]، ثم لجئوا إلي الزحف في خنادق أرضية حفرت بسهولة في أرض رملية وبهذه الطريقة تمكّنوا من التوغل بأن يمنعوا الفرسان من النزول إلى البئر، فاكتفى الفرسان بالمياه المالحة المتوفرة في الآبار الثلاثة المتواجدة داخل القلعة[4]، وبعد شروق الشمس استأنف العثمانيون القصف المدفعي أكثر عنفاً مما كان عليه ،واستمر القصف من الجانبيين طيلة النهار[5] وعند المساء تسبّب انفجار البارود من طرف

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص94.

[2] إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، المصدر السابق، ص77.

[3] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص162.

[4] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص44.

[5] شارل فيرو، المرجع السابق، ص94.

العدو بقتل 30 من الجنود العثمانيين، وتعرّض سور القلعة العنيف إلى أضرار بالغة لا يمكن إصلاحها[1] .

طلب السفير الفرنسي دارمون مجدداً في 10 أوت 1551م الإذن من سنان باشا السفرّ إلي إسطنبول، فسمح له لكن بعد بضع ساعات رجع عن قراره طالباً من سنان باشا على البقاء يومين أخريين أملاً في الاستيلاء على البلاد في تلك الأثناء[2] .

زار السكرتير الفرنسي نيكولاي دي نيكولاي يوم 11 أوت 1551م أعمال الحصار، حيث شاهد على بعد 150 خطوة من القلعة وجود ثماني قطع مدفعية كبيرة تحت إمرة صالح رايس وعلى يساره ثماني قطع مدفعية أخرى تحت قيادة درغوث باشا[3]، وشرعت المدافع على الفور في قصف القلعة وتطايرت أجزاء السور الخارجية، وكانت القنابل تنفذ بقوة في السور واحدة تلوا الأخرى، وقدّ كان مسكن الحاكم فالييس خلف ذلك السور، فأسرع هذا الأخير على زيادة تحصين السور بالرمال التي تدعم الأسوار[4] .

تقدّم إلى تاجوراء في يوم 12 أوت 1551م جندي من الفرسان أصله من فرنسا كان قد سبق أن أقام بشمال إفريقيا حيث تعلم اللغة العربية وكان متعاطفاً مع العثمانيين، فأستغله سنان باشا للتعاون معهم وتجسّس على الفرسان، وقدّ أبلغه أنه إذا ما أراد العثمانيون الاستيلاء على القلعة في أقرب وقت فما عليهم إلا أن يقصفوا الجزء السفلي من السور الذي يقع خلفه مسكن الحاكم فالييس إذ أن الموقع لا توجد وراءه إلا المخازن والمؤن ومن السهل

[1] إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا، المصدر السابق، ص77.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق،، ص94.

[3] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص179.

[4] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص44.

إحداث ثغرة به[1]، وعلى الفور تحرّك سنان باشا بمدافعه حيث تمكّن بالفعل من إحداث ثغرة كبيرة في السور[2].

أصبح وضع الفرسان ضعيفا وتعرّض سور القلعة إلى أضرار بالغة لا يمكن إصلاحها كما أن الماء قليل وسيء المذاق زيادة على حالات العصيان واشتبه في الخيانة وعدم الثقة[3]. وأخذوا يردّدون أن السفير الفرنسي المتواجد بالمعسكر العثماني، لن يهتم إلا بمواطنيه أما عن الفرسان من جنسيات أخرى سيتركهم بلا حماية تحت عنف العثمانيين خاصة رعايا الأسبان.

سحبت المدفعيات العثمانية في 13 أوت حتى أصبحت على بعد 30 خطوة من القلعة، فسارع جندي من الفرسان كان يحرس باب البحر بالهروب هو ورفاقه على قارب شراعي كان يرسو قرب الحصن لكن إكتشف أمره وشنق[4]، وفي نفس اليوم كان حاكم فالييس يخرج من كنيسة القلعة بعد أن أدى الطقوس الدينية وقرّر أن يهبَ حياته ثمناً لإنقاذ طرابلس الغرب التي عُهد بها إليه، فأحاط به الثائرون لكنه أعادهم إلي أماكنهم المحدّدة ووزّعهم على نقاط مختلفة من الحصون وكان يراقبهم بنفسه، وطلب من الحاضرين رأيهم حول أوضاع التحصينات فردوا عليه بأن الثغرة التي سبّبها العثمانيون يمكن سدّها حالما يقوم الجنود بواجبهم لصدّ أي هجوم متوقع[5] .

---

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص95.

[2] جان كلود زليتنر،المرجع السابق، ص179.

[3] إيتوري روسي، طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا، المصدر السابق, ص77.

[4] شارل فيرو،المرجع السابق، ص 95.

[5] كوستانزيو برنيا، المصدر السابق، ص ص 45- 46.

تمكّن 4000 جندي من الجيش العثماني من اقتحام الحصن لكن ردوا على أعقابهم، غير أن هذا الهجوم زاد من تمرّد الفرسان حيث أرعب الجنود الايطاليين وغدوا يبحثون عن وسيلة تمكّنهم من الهرب إلي صقلية[1]، فصمّموا على الهروب على قارب شراعي بعد إشعال النار في مخزن البارود لكي تحجب أعين العثمانيين، لكن اكتشف الفرسان على ما عزموا عليه، وفي تلك الأثناء كان قصف مدافع العثمانيين لا يزال موجهاً إلى القلعة بعنف تبعاً لنصيحة الجاسوس الفرنسي الأمر الذي أدهش جنود الفرسان[2].

ومما زادّ الطين بله أن مستودعات البارود انفجرت، والأهم من ذلك أن الايطاليين رفضوا القتال وطالبوا بأخذهم كرهائن[3]، ففوجئ الحاكم فالييس من هذا القرار وبذل جهوده في محاولة إقناعهم بالتراجع عن الاستسلام[4]، لكن دون جدوى حيث ألحوا عليه أن يرسل وفداً إلى سنان باشا لطلب الصلح وتسليم البلاد مقابل السفر إلى مالطا وصقلية حينها أيقن الحاكم فالييس سقوط طرابلس الغرب في يد العثمانيين أمر لا بد منه، فأرسل إلى سنان باشا وفداً مكوناً من رسولين يطلب منه المفاوضة في الصلح على شرط أن يخرج الفرسان إلى مالطا وصقلية بأسلحتهم وأمتعتهم[5]، فرفض سنان باشا هذا الشرط إلا إذا دفعوا ثمن كل ما أنفقه على هذه الحملة غرامة حربية لكن رفض شرطه هو الآخر وردوا عليه بأنه لا يوجد عندهم ما يكفي من المال[6]، فتدخل مراد آغا ودرغوث باشا ونصحوا سنان بقبول شروط التسليم كما عرضت عليه وعندما تصبح طرابلس الغرب ملكاً للعثمانيين فله عندئذ أن يفعل

---

[1] محمد علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص162.

[2] شارل فيرو، المرجع السابق، ص94.

[3] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، 225.

[4] عزيز سامح، المرجع السابق، ص51.

[5] إبن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص160.

[6] نيقولاي ايفانوف، المصدر السابق، ص225.

ما يروق له، زيادة على أن ما يقوم به من أعمال متطرّفة الفرسان هو بدافع اليأس ، فقبل سنان باشا بنصيحتهما[1] .

طلب سنان باشا من الوفدين تبليغ دعوته للحاكم فالييس بالحضور إلى معسكره للتشاور حول وسائل تنفيذ اتفاق الاستسلام ونقل الفرسان من طرابلس الغرب إلى صقلية ومالطا، وفي 14 أوت 1551م حضر فالييس لمعسكر سنان باشا واستقبله بجفاء وعامله بعنف وقسوة[2] وانفجر سنان باشا يلومه قائلاً :﴿ إن الفرسان بحربهم ضدّ العثمانيين خانوا شروط التسليم في رودس سنة 1522م﴾، وردّ عليه فالييس قائلاً :﴿ بأن هذا غير صحيح فلم يسبق للفرسان أن أعطوا هذا التعهد فلا يستطيعون ذلك لأنهم أقسموا على محاربة الكفار﴾[3] .

إغتاظ سنان باشا وأمر بتجريد فالييس من السلاح وتقييده بسلاسل وعاد أحد الفرسان الذي كان في صحبته ويسمى مونفور(Monfort) إلى القلعة لكي ينقل شروط الاستسلام[4]، وفي طريقه إلى العودة قام جندي إيطالي جهلاً منه بالمفاوضات بتوجيه طلقة من المدفع ضد العثمانيين قتلت منهم 20 شخصاً، فثارً سنان باشا وأمر بسجن الحاكم فالييس، وعندما بلغ الأمر إلى النائب كوبير حاول أن يبعث في الجنود الحماسة والمقاومة، لكن بقي موقف المتمردين على رفضهم للقتال[5]، فقام بعقد مجلس تقرّر خلاله إرسال الفارس مونفور مرة

[1] شارل فيرو، المرجع السابق، ص96.

[2] عزيز سامح، المرجع السابق، ص51.

[3] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص180.

[4] أيتوري روسي، المصدر السابق، ص77.

[5] جان كلود زليتنر، المرجع السابق، ص180.

ثانية لسنان باشا لمعرفة الشروط، فقرّر منح الحرية لكوبير وللفرسان احتراماً لدارمون باستثناء الجندي الإيطالي الذي تسبّب في بترّ ذراع مهندس جيش العثماني بقذيفة المدفع[1] .

خرج الفرسان بحرية وفتحت طرابلس الغرب أبوابها للعثمانيين يوم 14 أوت 1551م ودخل سنان باشا وفي المقدمة درغوث باشا ومراد أغا وافياً بما وعدهم إليه[2] .

وتم إجلاء بعض مئات جنود الفرسان على سفن الفرنسية برفقة السفير الفرنسي دارمون وعندما وصل هذا الأخير إلى مالطا إستقبله المرشد الأكبر ببرودة لاعتقاده أن الفرنسيين قدّ أعانوا العثمانيين بالمعلومات والمؤن[3]، وتم إرسال بعضهم إلى إسطنبول وتم قتل السكان الخونة وإطلاق سراح الحاكم فالييس، وبعد بضعة أيام اقترب أسطول أندريا دوريا بعد أن هدر وقتاً طويلاً للوصول إلى طرابلس الغرب وعند ظهوره كان كل شيء قد انتهى سقطت طرابلس الغرب وانسحب الأسطول العثماني[4] .

ب- نهاية الصراع وتأسيس إيالة طرابلس الغرب:

بعدما تمكّن الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا من هزيمة فرسان مالطا وطردهم من طرابلس الغرب[5] احتفل السكان في 16 أوت 1551م بفتحها، وحضر الإحتفال السفير دارمون الذي حجزه سنان باشا في تاجوراء ورئيس الفرسان فالييس الذي كان حاكماً على

[1] إبن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص161.

[2] جون وولف، المرجع السابق، ص68.

[3] جون وولف، المرجع نفسه، ص68.

[4] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص225.

[5] جغدان بو عبد الله، **الولايات العثمانية الثلاثة (الجزائر- تونس- ليبيا)**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2018، ص94.

طرابلس الغرب وكان يوم 09 و10 و11 من أوت أشدّ أيام الحرب[1] لم يترك الفرسان خلاله سوى الخراب وأخبار تلك الفظائع والمجازر[2].

أقيم الاحتفال في الخندق المقابل للقلعة في الجانب الشرقي بالموقع الذي أُحدثتْ فيه مدفعية العثمانيين ثغرة في السور، وفي المساء أشعل الأسطول العثماني الأضواء احتفالاً بهذه المناسبة[3]، وبدءاً من هذا اليوم أصبحت طرابلس الغرب ولاية عثمانية فعمدوا على تطبيق الإجراءات العثمانية الإدارية والعسكرية عليها[4]، حيث قام سنان باشا بتنظيم شؤونها ووضع على قلعتها حامية كبيرة من الإنكشارية وقام بإصلاح شؤونها الإدارية وعيّن مراد آغا والياً عليها ثم اتجه إلى إسطنبول حيث صدر فرمان سلطاني يدّل على تعيين مراد آغا والياً على طرابلس الغرب التي أصبحت ولاية عثمانية،[5] وحاملاً معه عدداً من المسحيين الأسرى والغنائم الوفيرة[6].

كما نجح درغوث باشا في الحصول على موافقة الباب العالي على إرسال فيالق الإنكشارية لتعزيز الحامية العثمانية لمنع أي اعتداء صليبي قدّ يقع عليها سواء من الاسبانيين أو من فرسان مالطا وهذا الحذر يبيّن اهتمام الدولة العثمانية بتحصين سواحل طرابلس الغرب، أي أن هذا الاهتمام منهم كان موجهاً إلى الجوانب العسكرية أكثر من المدنية[7].

---

[1] إبن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق, ص162.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص305.

[3] إيتوري روسي، المصدر السابق, ص78.

[4] محمود الناجي، **طرابلس الغرب**، تق: عبد السلام أدهم و محمود الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية للنشر والتوزيع، بنغازي، 1970، ص149.

[5] عبد المنعم الجميعي، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع،عمان، 2014 ،ص29.

[6] إيتوري روسي، المصدر السابق، ص78.

[7] عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 200.

جـ- مراد أغا واليا على طرابلس الغرب:

أصبح مرادّ آغا والياً على طرابلس الغرب وهو المنصب الذي كان يتطلّع إليه درغوث باشا في الخفاء[1]، واعتبر أول والي عثماني عليها، وبولايته عاد الحكم الإسلامي إلى طرابلس الغرب بعدّ أن أمضت نحو 40 سنة تحت الإستعمار الصليبي الإسباني ثم استعمار فرسان مالطا[2]، وعليه أقسم مراد آغا على القرآن الكريم بأن يتولى إدارة شؤون البلاد باسم السلطان العثماني وأن يحترم القوانين العثمانية ويطبقها[3].

وفي عهده بدأت طرابلس الغرب في إعادة بناء اقتصادها بعدما عمّها الخراب من جراء الحرب وإهمال الفرسان شأنها فشغل مرد آغا على تعميرها[4]، حيث انتعشت الزراعة والتجارة وأنشئت البساتين واستثمرت الأرض وازدهرت حياة المدن وعاد اللاجئون إلى بلادهم بعد سنوات عديدة من الهجرة، فساهموا إلى حد كبير في إعادة ازدهارها وإنعاشها كمركز تجاري كبير بعد مدة قصيرة[5] .

كما نجح مراد آغا في توسيع رقعة طرابلس الغرب وضمها إلى الحكم العثماني، حيث تمكن في السنوات الأولى من بسط نفوذه بمصراته وزواره وبعض مناطق الدواخل[6].

---

[1] إيتوري روسي، المصدر السابق، ص 78.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلي نهاية العهد التركي**، دار الفتح للطباعة ونشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970، ص75.

[3] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص225

[4] إبن غلبون الطرابلسي، المصدر السابق، ص163

[5] نقولاي إيفانوف، المصدر السابق، ص226

[6] جمال هشام وأحمد الدويب، **تثبيت الحكم العثماني في طرابلس الغرب**، المؤتمر الدولي الأول حول الدراسات العربية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، 2011، ص364.

واستمر مراد آغا في حكم طرابلس الغرب حتى عام 1556م، حيث أدركته الشيخوخة وأخذ منه العجز فإنتقل إلى تاجوراء وأخذ معه أمواله وبعض الأسرى المسحيين الذين استعان بهم في بناء مسجده بتاجوراء، ووعدهم بإطلاق سراحهم بعد إتمامهم للمسجد على أكمل وجه ومزال المسجد متواجداًإلى اليوم،[1] به 48 عموداً جعله على شكل حصن ويعدّ هذا المسجد من أهم المعالم الأثرية الإسلامية القائمة بطرابلس الغرب[2].

بعد مراد آغا تولى درغوث باشا حكم طرابلس الغرب، وفي عهده لعبت طرابلس الغرب دورا سياسيا وعسكريا وعمل على توسيع نفوذه مستفيدا من التحالفات المحلية والإهتمام بمداخل البلاد وصحرائها وليس فقط على الساحل، وعمل على تقوية التحصينات الدفاعية وجلب المزيد من الإنكشارية لمضاعفة قوة الحامية.

عمل فيليب الثاني على التخطيط لحملة على طرابلس الغرب فشكّل حلفا أوربيا (إتفاق كاتوكمبرسيس سنة 1559م) واتجه الأسطول الأوربي إلى طرابلس الغرب سنة 1560م لكن لم يقم بأي نشاط لرداءة الجو واكتفى بالتوسّع على جربة، وكان الأسطول العثماني الذي يقوده بيالي باشا يراقب تحركاته فاتجه إلى جربة بمساعدة علج علي ودرغوث باشا وهزم الأسطول الأوربي سنة 1560م، وهو ما مكّن من إنضواء الأراضي الطرابلسية إلى جانب الجنوب والساحل المتوسطي تحت لواء درغوث باشا، وبعد إستشهاد درغوث باشا في حصار مالطا سنة 1565م تولى مكانه علج علي حتى سنة 1568م أين استدعي لتولي قيادة الأسطول العثماني، وقد امتد الحكم العثماني إلى فزّان سنة 1577م ثم ضمّت فزان في القرن 17م، وقد استمر الحكم العثماني إلى غاية 1711م بتولي الأسرة القرمنللية الحكم بين 1711 – 1835م.

[1] الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي، المرجع السابق، ص75.

[2] عبد المنعم الجميعي، المرجع السابق، ص30.

استفاد العثمانيون كثيراً في وقوع طرابلس الغرب في أيديهم، فقدّ تحولت تجارة إفريقيا التي تركزت في تاجوراء إليها، وازدادت حركات التبادل التجاري المتمثلة في التوابل والذهب بين طرابلس الغرب وداخل إفريقيا[1]، كما تمكّنوا من الحصول على قاعدة بحرية هامة ترتبط بمصر وتحمي ظهر تونس من العدوان المسيحي[2].

خاتمة

تمكّن العثمانيون من بسط سيادتهم على البلاد العربية، وكان بسط هذه السيادة إما من عن طريق التوسّع العسكري بالإستفادة من أوضاع بعض المناطق، أو الدخول الطوعي في ظل الحكم العثماني.

[1] أحمد سالم، المرجع السابق، ص135.

[2] مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (الجزائر تونس المغرب ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، برج بوعريريج،2013، ص23.

من خلال هذا التوسّع على البلاد العربية حقّق العثمانيون تفوقهم ونفوذهم وصاروا من أكبر القوى الإسلامية التي نافست القوى الأوربية، كما وقع على عاتقهم عبء حماية الأماكن المقدّسة والحرمين الشريفين، وحقّقوا بذلك مكانة سياسية متميّزة إلى جانب المكاسب الإقتصادية من خلال التحكّم في الطرق التجارية التقليدية والموارد المالية الناتجة عن الضرائب المفروضة على البلاد التي خضعت لها.

هذا التفوّق والنفوذ الذي وصل إليه العثمانيون لم يستمر لأن أوضاعهم ستتغيّر مع النصف الثاني للقرن الثامن عشر بفعل مجموعة من المتغيّرات الداخلية والخارجية التي ستضعف الدولة العثمانية وتحوّلها إلى منطقة صراع وتنافس بين الدول الأوربية التي إستغلت أوضاعها للتحالف ضدّها لإضعافها والسيطرة على ممتلكاتها.

الملحق رقم 01: خريطة الدولة العثمانية خلال القرن السادس عشر

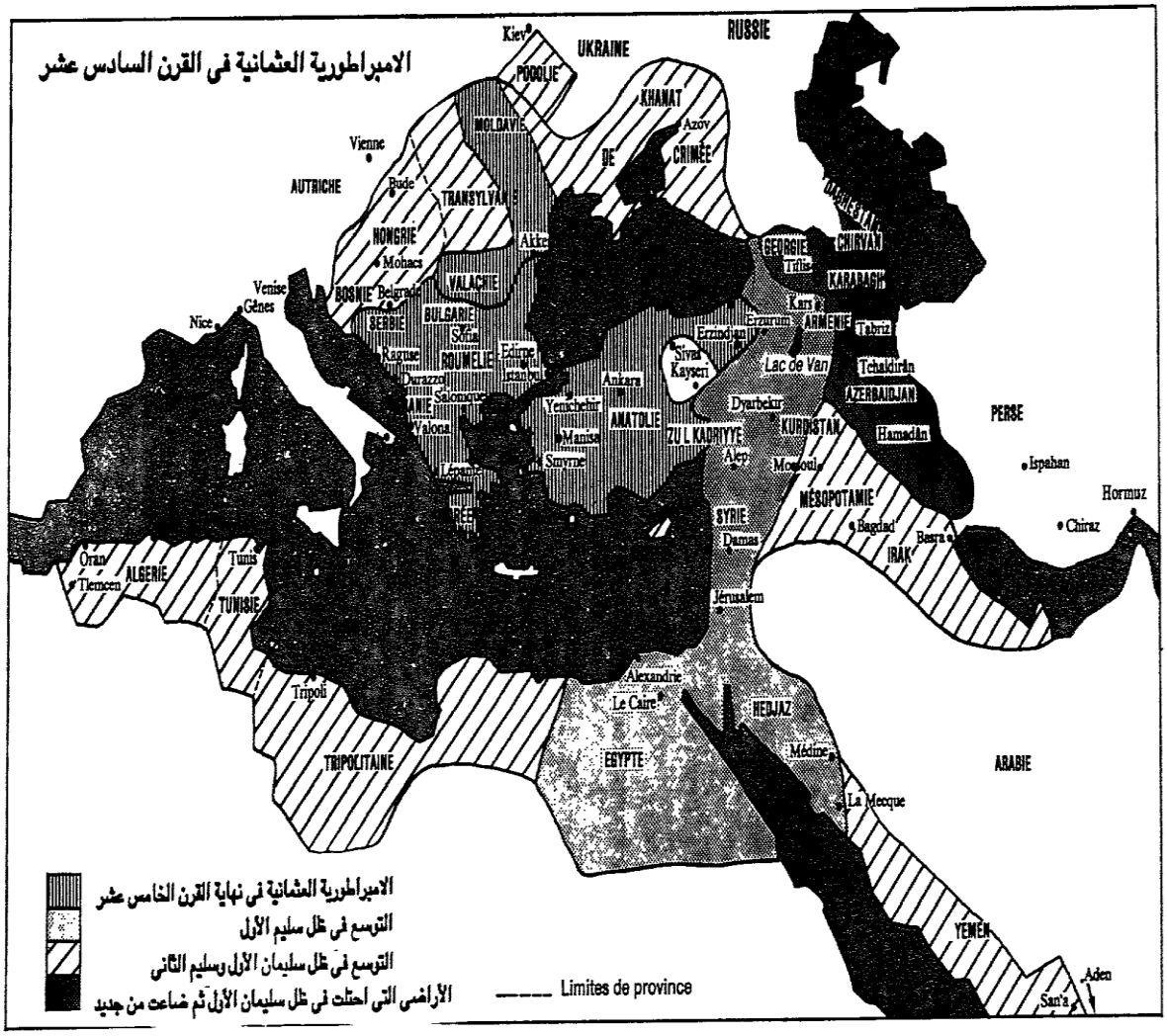

المرجع: روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 206.

الملحق رقم02: رسالة سكان الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519.

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية. (أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

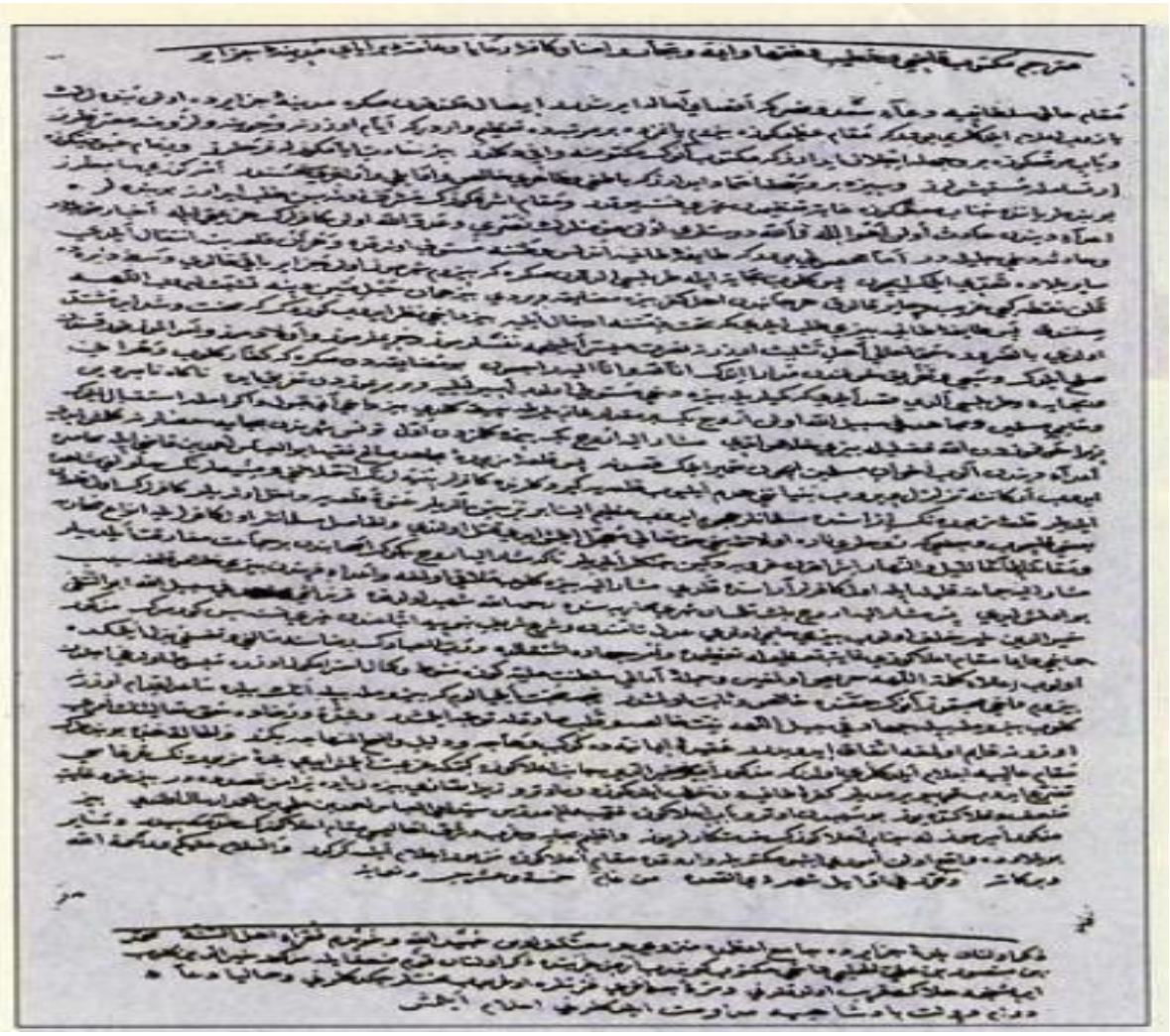

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية. (أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

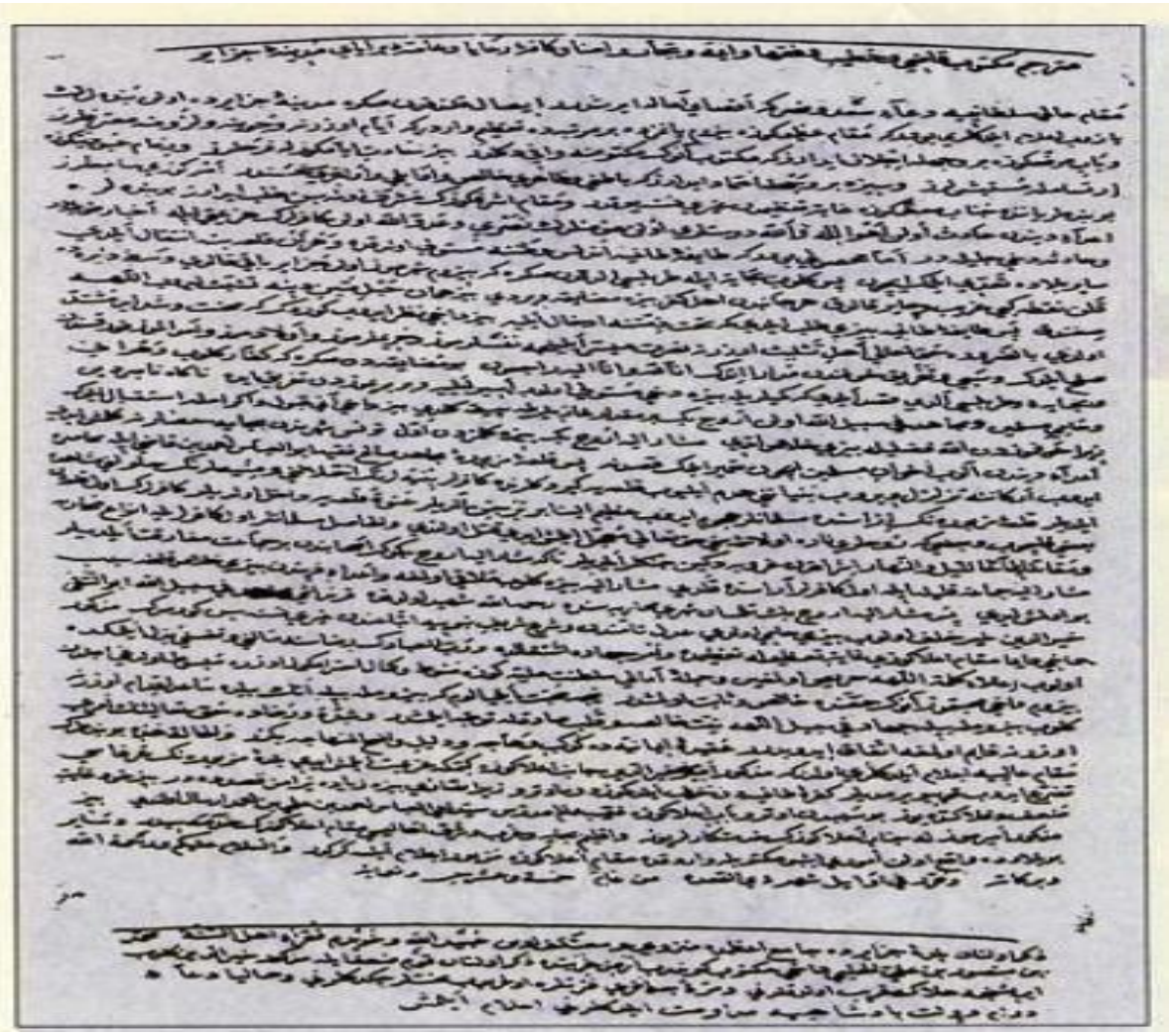

المصدر: خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: محمد دراج، ط1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص112

ملحق رقم 03: معركة مرج دابق سنة 1516م

خريطة توضح معركة مرج دابق (922هـ/ 1516م)

المرجع: سامي بن عبد الله المغلوث : أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 319.

الملحق رقم 04: رسالة تعزية من الشاه إسماعيل إلى السلطان سليمان القانوني بعد وفاة والده وتهنئة بفتح جزيرة رودس

رسالة الشاه إسماعيل إلى السلطان سليمان خان
في تعزيته بوفاة والده السلطان سليم وتهنئته بفتح رودوس

(هو الله المستعان:

سليماً للمعدلة والسلطنة والنصفة والخلافة والحشمة والشوكة والظفر والجلال والإجلال السلطان سليمان ـ خلد الله تعالى سلطانه ـ بين الخواقين، ونصر جنوده وأعضاده بقلع مآثر أضداد الدين المشركين، وقمع منابر الكفر والكافرين، ظفر عساكر الإسلام وجيوش المسلمين إلى يوم ينال فيه أجر العاملين)[1]. بعد دعاء تصل فواتح قبوله إلى الشمائم، ونفائح رياض جنانه إلى ساكني المحفل الأنسي. وثناء بفواتح حصوله تتفتح براعم مرجه القدسي، من حديقة الروح إلى نسائم نفس الرحمن، تحفة لمجلس كالجنان، وهدية لمحفل ينتمي للخلد.

حضرة الخاقان المعظم، والإسكندر الممكن، وسليمان المسيطر، ودارا المنظم، قدوة الأكاسرة المجاهدين، عمدة القياصرة السلاطين، والمشهود في الضمير الأقدس، والمكشوف لدى الخاطر الخطير الأنفس، الذي لا يمكن في خطة الإمكان أن يبرز مثله في أبدع أنواع الإنسان، كما يشهد عليه «لولاك لما خلقت الأفلاك» وهو مع سمو شأنه وعلو مكانه بحكم الآية الكريمة ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2] وسيلة ربّ العالمين، وذريعة إطاعة الشرع المبين والدين المتين، وهو المبين لفضل الجهاد بمقتضى الكلمة الطيبة ﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾[3]، والمقرر والمعين بأن كل فتح وانتصار للإسلام على الكفر، والهدى على الضلال، إنما هو بمدد التوفيقات السبحانية والعناية الربانية، من وراء حجب الغيب، الذي يأتي متجلياً من خفايا عوالم (لا ريب) الذي لم ير مثله في الأزمنة السابقة، والأعوام والقرون السالفة، لم تر مثله عيون أعيان أولي الأبصار، ولم تسمع به آذان العلماء من أهل الاعتبار، ولم تصل لخواطر صائبي الأفكار، وهو مؤدى «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[4]، وهو يقيناً سبب رضا خالق الأرض والسماء، وبهجة الأرواح المقدسة لجميع الأنبياء وأئمة الهدى وكافة الأولياء والأصفياء ـ عليهم التحية والثناء ـ وهو بشرى لهذه النعمة العظمى

والسعادة الكبرى، تصديقاً لقوله ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل... لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله﴾[1] الذي هو جابر لخاطر المتألمين، بوفاة حضرة الخاقان ساكن الفردوس الأعلى، حامي بيضة الدين الإسلامي، وماحي دابر عبدة الأصنام، والواصل إلى أعلى غرف جنان النعيم، المنعوت ﴿من أتى الله بقلب سليم﴾[2] عظم الله تعالى درجات السلف، وأيّد مراقي الخلف، ثم أن فتحكم المعتبر، أعظم من عيد الأضحى، وأفخم سرور وبشرى، وقد توجَّه مرجع السعادة وعمدة العلماء العظام «تاج الدين حسن خليفة» إلى بلاطكم، الذي هو قبلة الإقبال ومحرم الحريم وكعبة الأماني والآمال، لتقديم التهاني لكم بفتوحاتكم الكبرى، وذلك (تأكيداً لصفاء الوداد، وتأييداً لصدق الاعتقاد والاعتماد) وفي الختام، ندعو لكم بطول البقاء إلى ﴿يوم التناد﴾[3][4].

المرجع: عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت،1999، ص ص174- 175.

الملحق رقم 05: الإعتداءات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن16م

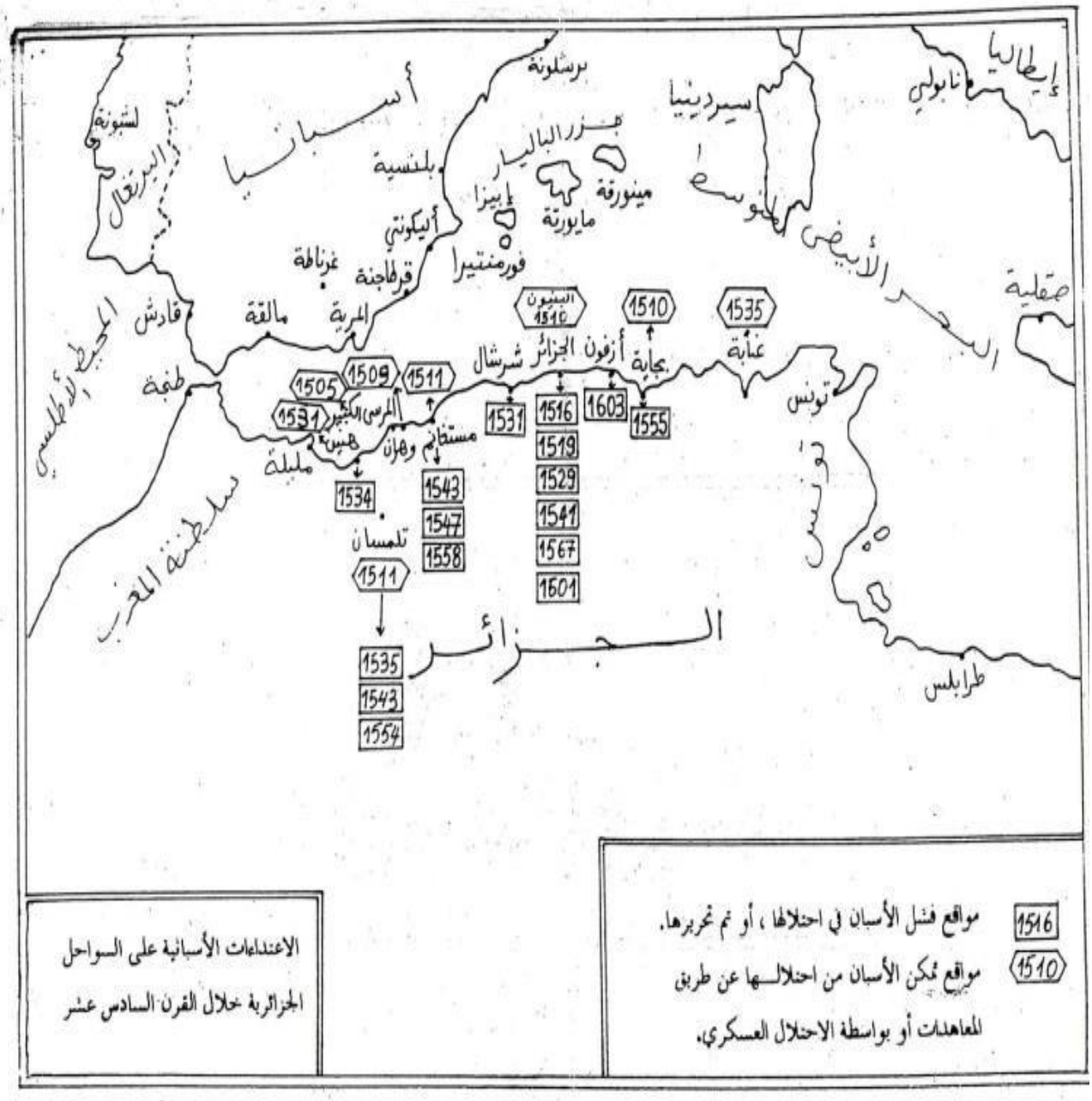

المرجع: عبد القادر الميلق، تأثير ثورات الموريسكيين في الأندلس مع العلاقات الجزائرية الأندلسية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث(1492- 1609م)، قسم التاريخ، جامعة غرداية،2012- 2013، ص171.

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر باللغة العربية:

1. ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1268هـ.
2. ابن أبي ضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**،ج2، الدار التونسية للنشر، تونس،1977.
3. ابن إياس الحنفي محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج 4، د ط، د م، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1984.
4. إيتوري روسي، **طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطا**، تق:خليفة محمد التليسي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985.
5. البكري الصديقي محمد بن ابي السرور، **المنح الرحمانية في الدولة العثمانية وذيله للطائفة الربانية على المنح الرحمانية**، تح: ليلى الصباغ، ط 1، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، د م،1995.
6. جلبي أوليا ، **الّرحلة إلى مصر والسودان والحبشة**، تق محمد حرب، تر حسين مجيب المصري وآخرون، مج 2، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006.
7. الحلبي ابن أجا محمد بن محمود، **العراك بين المماليك و العثمانيين الأتراك**، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1986.
8. الزياني محمد، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**: تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
9. الطبري علي عبد القادر ، **الأرج المسكي في التاريخ المكي و تراجم الملوك الخلفاء**، تح و تق: اشرف احمد جمال، ط 1، المكتبة التجارية، المملكة العربية السعودية ،1996 .
10. الطرابلسي إبن غلبون ، **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تح: الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، دار المدار الإسلامي، ط01، بيروت، ،2004.
11. فريد بك المحامي،**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،ط 1،تح: إحسان حقي، دار النفائس بيروت،1918.
12. الفيروزي أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، د ط، دار الرسالة، بيروت، 2005.

13. القرماني أحمد بن يوسف، **أخبار الدول وآثار الأول في التّاريخ**، تح أحمد حطيط وفهمي سعد، مج3، ط1، عالم الكتب، بيروت.

14. الماوردي ابو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد مبارك، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.

15. مجهول، **غزوات عروج وخير الدين**، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر: المطبعة الثعالبية، الجزائر،1934.

16. محمد الصالح ابن العنتري، **فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها**، أو تاريخ قسنطينة: (مراجعة وتقديم وتعليق: يحي بوعزيز)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

17. مؤلف مجهول،**الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح: هانس ارنست، د ط، دار إحياء الكتب العربية، د م.

18. الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**،ج1، مطبعة الدولة التونسية،1287.

2- المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم حليم ، **تاريخ الدولة العثمانية العلية (التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية)** ، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،1988.

2. إبراهيم خليل أحمد، **تاريخ الوطن العربي 1516- 1916**، دار إبن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل،1997.

3. أجقو علي، **محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائري (1514-1837)**، الجزء الثاني، ط2: باتنيت، المعلوماتية والخدمات المكتبية، 1999.

4. الأحمد محمد علي، **سقوط الخلافة-عرب الشام والدولة العثمانية**، ط 1، دار حمورابي للنشر والتوزيع، الأردن،2007 .

5. أسامة حسن، **طومان باي آخر سلاطين المماليك**، ط1، دار الأمل، الجيزة، 2000.

6. الإسكندري عمر والحسن سليم، **تاريخ الفتح العثماني للشام إلى قبل الوقت الحاضر**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996.

7. أوربران صالح، **الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي 1543 -1581**، ترجمة وتعليق: عبد الجبار نابي. مطبعة الإرشاد، البصرة، 1979.

8. أوزوتونا يلماز، **المدخل إلى التاريخ التّركي**، تر أرشد الهرمزي، ط1، الّدار العربية للموسوعات، بيروت، 2005.
9. أوزوتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الانصاري، منشورات فيصل للتمويل، تركيا، 1988.
10. إيفانوف نيكولاي، **الفتح العثماني للأقطار العربية**، دار المعارف للنشر، القاهرة.
11. بديع جمعة احمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ط 1،دار الرائد العربي القاهرة،1976.
12. بروي إدوار، **تاريخ الحضارات العام –القرون الوسطى**– تر: يوسف أسعد داغر و فريدم داغر ،ط3 ، منشورات عويدات ، بيروت ،1994.
13. البهجي إيناس حسني ، **دولة المماليك البداية و النهاية**، دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية، 2015.
14. بوروينة رشيد ولقبال موسى وعبد الحميد حاجيات وعطا الله دهينة ومحمد بلقراد، **الجزائر في التاريخ**، ج 3، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
15. بيات فاضل ، **الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرا (مطلع العصر العثماني– أواسط القرن التاسع عشر)**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
16. بيضون جميل وآخرون، **تاريخ العرب الحديث**، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن،1991.
17. المحامي محمد فريد بك ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981.
18. التميمي عبد الجليل ، **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، 1989.
19. جغدان بو عبد الله، **الولايات العثمانية الثلاثة (الجزائر– تونس– ليبيا)**، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2018.

20. الجميعي عبد المنعم ، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع, عمان، 2014.

21. الجميل سيار، **تكوين العرب الحديث**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،1997.

22. الجميل سيار، تكوين **العرب الحديث**، ط1، دار الشروق، عمان، 1997.

23. جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس – الجزائر – المغرب الأقصى**، ج2، ط2: الدار التونسية للنشر، 1985.

24. الجيلالي عبد الرحمن، **تاريخ الجزائر العام**، ج2: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

25. حتامله محمد عبده ، **التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين(1474– 1516م)**، ط1، الجامعة الأردنية، عمان، 1980.

26. الحسن عيسى ، **تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية**، ط1، الأهلية، بيروت، 2008.

27. الحسني عبد الرزاق ، **تاريخ العراق السياسي الحديث**، ط7، دار الرافدين، بيروت، 2008

28. حنا بطاطو، **العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**،ج1، ترجمة عفيف الرزار، ط2، دار الأبحاث العربية، بيروت، 1995.

29. الحويري محمود محمد، **مصر في العصور الوسطى من العصر المسيحي حتى الفتح**

30. الخطيب مصطفى عقيل ، **الخليج العربي، دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي**، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط1، قطر، 2013.

31. الدجيلي حسن مجيد، **إيران والعراق خلال خمسة قرون**، دار لأضواء للنشر ،بيروت ، ط1 ،1999.

32. دراج محمد ، **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512–1543)**: شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012.

33. رافق عبد الكريم ، **العرب و العثمانيون 1516–1916 م**،ط 2،د ن،دمشق،1993.

34. رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782- 1814**، مج2، منشورات الجامعة التونسية، 1980.

35. الرفيعي عبد الأمير،**العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية**،ج2، (د.م.ن)، (د.ت.ن.

36. روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية** ،ج1 ،تر : بشير السباعي ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1993.

37. الرائسي إدريس الناصر، **العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر**، ط1، دار الهادي، بيروت، 2007.

38. الزاوي الطاهر أحمد، **ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلي نهاية العهد التركي**، دار الفتح للطباعة ونشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970.

39. الزاوي الطاهر أحمد، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار المدار الإسلامي للنشر والتوزيع، ط4، لبنان، 2004.

40. زليتنر جان كلود، **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا 1500-1795**، تر:جاد الله عزوز الطلحي، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، 2001.

41. زيادة نيقولا، **الفتح العثماني لبلاد الشام و أثاره المباشرة**، مج 11، ع 44، دار الاجتهاد للأبحاث و الترجمة و النشر، لبنان، 1999.

42. سالم أحمد، **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001.

43. سبنسر وليام ، **الجزائر عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية: ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.

44. سعدي عبد الله إيناس، **تاريخ العراق الحديث 1258م- 1918م**، ط1، دار عدنان، بغداد، 2014.

45. شاكر محمود، التاريخ الإسلامي، ج7 (العهد المملوكي)، ط5،المكتب الإسلامي، بيروت،2000.

46. الشلق أحمد زكريا، **العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516-1916**، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر، 2002.

47. الشناوي عبد العزيز ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.

48. الشهاب حسان صالح، **أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي**، سلسلة كتاب الأبحاث5، د. ط، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

49. الشيبي كامل مصطفى، **الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر**،ط1 ، مكتبة النهضة ،بغداد،1386هـ/1968.

50. شيلشر ليندا ، **دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، تر:عمرو دنيا الملاح، مراجعة : عاطف ماردیني، دار الجمهورية، دمشق، ط1، 1998.

51. الصباغ ليلى، **المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني**، د ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1983 م.

52. الصلابي علي محّمد ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، ط1، دار الإسلامية، بورسعيد، 2001.

53. الصلابي علي محمد، **الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط**، ط 1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، بورسعيد، 2001.

54. صلاح العقاد، **المغرب العربي في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة(الجزائر تونس المغرب الأقصى)**: مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1980.

55. صياغة نايف ، **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر**، د ط، وزارة الثقافة، دمشق، 1995.

56. الطروانة طه ثلجي ،" **النزاع الصفوي العثماني حول العراق**"، حوليات آداب عين شمس ، دار المنظومة،المجلد31، مصر ،2016

57. طقوش محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1997.

58. عبد الأمير محمد أمين، **دور القبائل العربية في صد التوسع الأوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، د.ط، دار الحياة للنشر والتوزيع، بغداد، 1972.

59. عبد الدايم عبد العزيز محمود، **مصر في عصري المماليك والعثمانيين (648-923هـ/923- 1213هـ) (1250-1518/ 1518-1798م)**،ط1، دار نهضة

60. عبد الكريم رافق، **المشرق العربي في العهد العثماني**، ط 4، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1992.

61. عبد الكريم رافق، **بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 1516-1898 م**، ط 2، د ن، دمشق، 1968.

62. عبد الله الشرقاوي، عبد الله، **تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الملوك والسلاطين**، تح رحاب عبد الحميد القاري، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1996.

63. عزاوي عباس ، **موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين**،ج2، ط1، مطبعة بغداد الحديثة، 1936.

64. عزيز سامح ألتر، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، (ترجمة: محمود علي عامر)، بيروت: دار النهضة العربية، 1409 هـ /1989.

65. علي محمد حمودة، **تاريخ الأندلس السياسي والاجتماعي والعمراني**، دار الكتاب العربي، مصر،1957.

66. عنان محمد عبد الله ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصّرين**، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1996.

67. عوض عبد العزيز، **دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث**،ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد العلمية، الأردن، 1991.

68. العيدروس محمد حسن ، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، ط2، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 1998.

69. غربي الغالي، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي 1288-1916 م**، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

70. فارس محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي**، ط 2، مكتبة الشرق، بيروت، 1979.

71. قنان جمال ، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر**، منشورات المتحف الوطني للجهاد، الجزائر، 1994 .

72. كارداياك، **المورسكيون الأندلسيون والمسيحيون والمجابهة الجدلية (1492-1640) مع ملحق بدراسة عن المورسكيين بأمريكا**، تعريب وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس،1983.

73. كمال حامد مغيث، **مصر في العهد العثماني 1517 - 1798**، تقديم: رؤوف عباس،ط1، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، 1997.

74. كوتلوف ل، **ثورة العشرين(الوطنية التحررية في العراق)**، ترجمة عبد الواحد كرم،ط 2، مكتبة اليقظة العربية، بيروت، 1975.

75. لوريمر، ج، ج، **دليل الخليج**، ج1، 4، قسم الترجمة بمكتبة أمير دولة قطر، الدوحة.

76. المتولي احمد فؤاد ، **الفتح العثماني لمصر و الشام و مقدماته من واقع الوثائق العربية المعاصرة له**، ط 1، مصر، الزهراء للإعلام، 1995.

77. محمد أنيس، **الدولة العثمانية والشرق العربي(1514 -1914 م)**، دار الجيل للطباعة ،القاهرة ، د.ت.

78. محمد سلمان حسن، **التطور الاقتصادي في العراق 1864- 1958**،ج1، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1965.

79. محمد علي عامر ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث**، منشورات جامعة دمشق للنشر والتوزيع، ج02، دمشق، 2000.

80. محمود السيد: **تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2004.

81. محي الدين حسن عرار، **معارك إسلامية**، دار الإعصار الإعلامي للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

82. المطوي محمد العروسي ، **السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986.

83. مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر (الجزائر تونس المغرب ليبيا)**، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، برج بوعريريج،2013.

84. منسي عبد الله بن سراج بن عمر، **محاضرات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر** ط1، مكتبة الملك فهد، جدة، 1431هـ

85. الناجي محمود ، **طرابلس الغرب**، تق: عبد السلام أدهم و محمود الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية للنشر والتوزيع، بنغازي، 1970.

86. ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر في تاريخ العهد العثماني**،ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

87. هولي دونالد ، **عمان ونهضتها الحديثة**، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلابي، د.ط، مؤسسة ستايس، لندن، د.ت.

88. الوردي علي ، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**،ج3، ط1، المكتبة الوطنية، 1972.

89. ياغي أحمد ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995.

90. ياغي إسماعيل أحمد ، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996م.

91. ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط1، مكتبة العبيكان الرياض، 1997.

92. يوجين روجان، **العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر**، تر : محمد إبراهيم الجندي ، ط1، مؤسسة هنداوي، للتعليم و الثقافة ، القاهرة ،2011.

3- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1. Cat Edward , **petite histoire de l'Algérie**, tome 1, Adolphe Jourdan: librairie Editeur, Alger, 1888.
2. Ch.A.Julien, **Histoire de l'Afrique du nord (Tunisie-Algérie-Maroc) de la conquête arabe à 1830**, tome 2, 2eme édition revue et mise a jour par Roger Le Tourneau, Payot, Paris, 1956.
3. E.TRUMELET, **Les Saints De L'islam, Légendes Et Croyances Algériennes**, Les Saints Du Tell, Didier, 1881.
4. F. Braudel, **La Méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de Philippe II**, tome 1, 3eme édition, librairie Armand Colin, Parie, 1976.
5. ¯HAEDO (Fray Diego de**), Histoire Des Rois d'Alger**, trad. par H.-D de Grammont: éditions grand_ Alger livres, Alger, 2004.
6. Léon Galibert, **l'Algérie ancienne et moderne**, paris, 1844.
7. Mercier Ernest, **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830)**, tome second, Ernest Leroux: Editeur, Paris, 1888.
8. Mouloud Gaïd, **l'Algérie sous les turques**, 2eme Edition: édition Mimouni ,Alger, 1991.
9. Nettement Alfred**, Histoire de la conquête d'Alger**, nouvelle édition: Librairie jacques le coffre, 1867.
10. P.GAFFAREL, **L'Algérie, Histoire, conquête et colonisation**: Imp.de l'institut, Paris, 1883.
11. Shaw Standford, **History of the Ottoman empire and modern Turkey**, Volume1, (1280- 1808) Cambridge University, Press, 1976,
12. Sir Godfrey Fisher: **Légende Barbaresque**, Traduit par Hellal (Farida): O.P.U, Alger, 2000.

4- الدوريات باللغة العربية:

1. آيت بلقاسم فاطمة زهراء ، " **الحكم العثماني في الجزائر وتونس، دراسة مقارنة** "، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، المجلد2، العدد4، جانفي 2017،
2. البخيت محمد عدنان سلامة ، "**رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم الحفصي سنة 896هـ/1491م**"، مجلة الدراسات التاريخية المغربية، تونس، عدد 10، 1978.
3. التلمساني محمد بن عبد الرحمن، "**الزهرة النيرة لما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة**"، مجلة التاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، جويلية 1967.
4. التميمي عبد الجليل:" أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر **إلى السلطان سليم الأول سنة 1819**"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد6، 1976.

5. شافعي درويش، "**العلاقات بين طرابلس الغرب وإسبانيا خلال القرن 16م**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد19، غرداية، 2013.

6. الطروانة طه ثلجي ،" **النزاع الصفوي العثماني حول العراق**"، حوليات آداب عين شمس ، دار المنظومة،المجلد31، مصر،2016.

7. عبد العزيز عبد الله نسيبة ، "**الموقف العثماني من التحالف الحبشي البرتغالي (1508-1555م)**"، مجلة العلوم الإجتماعية، مجلد 6، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2019.

8. عطا الله شوقي ،" **ولاية الحبش العثمانية بين إيالة جدة والإدارة المصرية (1234-1303هـ/ 1818- 1885م)**، مجلة الدارة، العدد2، جامعة القاهرة، 1417هـ.

9. العطا عوض عبد الهادي ،" **العثمانيون في البحر الأحمر**"، مجلة دراسات إفريقية، كلية الآداب، جامعة إفريقيا العالمية، مركز البحوث و الدراسات الإفريقية، السودان، مجلد 2007، عدد37.

10. محمد خيضر رابحة ، "**القائد سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس**"، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج18،ع01، الموصل .

11. محمد كريم إبراهيم، " **الحملة العثمانية على عدن سنة 945هـ/1538م أسبابها ونتائجها**"، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد4،عدد 2.

12. مزين محمد ،" **الكتابات التاريخية المتعلقة برصد الخطاب المعتمد في علاقات المغرب بالعثمانيين، الفترة السعدية**"، المجلة التاريخية المغربية، جويلية 1983، العدد 29-30.

13. مشعل مفرح ظاهر وباسم حطاب الطعمه ،" **العلاقات العثمانية الصفوية (1587 – 1629 م)**"، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة ،ع 45،2008 .

14. مناور ضمياء عزيز، سمرد عكيدي فتحي، **مصادر دخل الدولة العثمانية من مدينة دمشق خلال القرن الثامن عشر الميلادي**، ع 113، **مجلة الآداب**، بغداد، 2015 .

15. مولاي بلحميسي: "**نهاية دولة بني زيان**" الأصالة، السنة 04، العدد26، مطبعة البعث، قسنطينة، 1975.

5- الدوريات باللغة الأجنبية:

1. Charles Feraud, **« les Beni Djelleb Sultans de Touggourt »,** R.A., 1879, N°23.
- E.De La PRIMAUDIE: "Document inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique", in R.A N°20, 1876.

2. Ernest Watbled, "**Etablissement de la domination Turque en Algérie», R.A** N°17, 1873.
3. Ernest watbled, « **Etablissement de la domination turque en Algérie**», in R.A, A 17, N° 99, mai 1873.
4. Monnerau et Watbled, **« Négociation entre Charles Quint et Kheir-Ed-din (1538-1540)** », R.A ,N°15, année 1871, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger.

6- الأطاريح والمذكرات:

1. بابكور عمر سالم، **حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى، المملكة
2. الرمال غسان علي ، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن10هـ/16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات
3. سعيود إبراهيم ، الأسرى **المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2009- 2010.
4. الصرفي نوال حمزة يوسف ، **الجهاد الإسلامي في شرق إفريقيا في القرن 10هـ/16م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987.
5. عبيد محمد غسان، **تاريخ دمشق الاجتماعي والاقتصادي والعمراني من خلال سجلات المحاكم الشرعية دمشق (1137-1170هـ/1724-1756 م)**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، سوريا، 2004.
6. العربية السعودية، 1407هـ/1986م.
7. فكاير عبد القادر، **آثار الإحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (10-12هـ/16-18م)** أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2008-2009.
8. المحمد مهنا، **الجاليات الأوروبية في ولاية حلب(1112-1210 ه/1700-1800 م)**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، 2009 .

9- نورة عبد الرزاق العلي، **السلطان سليمان القانوني (حياته،حروبه،إدارته)**، مذكرة ماجستير في تاريخ الدولة العثمانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2011.

7- المعاجم والموسوعات:

1. عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية**، ط 1، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
2. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية**،ط 1، مؤسسة الرسالة،بيروت،2000.